لمحات

من الدراسات المصرية القديمة

بقلم

الدكتور باهور لبيب

أمين منتدب بالمتحف القبطي

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

١٩٤٧

هدية المقتطف السنوية

لمحات

من الدراسات المصرية القديمة

بقلم

الدكتور باهور لبيب

أمين منتدب بالمتحف القبطي

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

١٩٤٧

مقدمة

أُتيحت لي فرصة البحث في الدراسات المصرية القديمة ، ونشرت عدة بحوث موجزة في سنوات متعددة وفي مجلات متفرقة كالمقتطف ، ومجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، ومجلة القانون والاقتصاد ، ومجلة المهندسين ، ومجلة الكتاب ، والثقافة ، والرسالة ، ومجلة بلادي ، ثم رأيت أن أجمعها مع جزء آخر في هذا الموجز الذي سميته « لمحات — من الدراسات المصرية القديمة »

وأرجو أن يسد هذا الكتاب فراغاً صغيراً من الفراغ الكبير الذي سبقتنا الى ملئه الأمم الأخرى ، لاسيما وان مصرنا العزيزة في حاجة الآن الى تربية قومية حقة عمادها دراسة تاريخ مصر القديم ، ومعرفة تاريخ وحدة وادي النيل في عصور مصر الزاهرة

والله المستعان يوفقنا الى ما فيه خير البلاد في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ملك وادي النيل .

ولا يفوتني أن أشكر ادارة المقتطف الغراء لاهتمامها بطبع هذا الكتاب وجعله هدية المقتطف السنوية الى مشتركيها الكرام .

عين شمس في اول سبتمبر سنة ١٩٤٧

باهور لبيب

الفصل الاول

بحوث تاريخية

١ — تطور التاريخ المصري القديم

٢ — وحدة وادي النيل

٣ — أهم أعلام وحدة وادي النيل

«ا» الملك نب حبت رع

«ب» الملك أمنمحات الأول

«حـ» الملك احمس الأول

«ء» الملك رمسيس الثاني

٤ — الحروب بين ملوك الشمال والجنوب

٥ — الهيكسوس

٦ — الملك ايخ ـ إن ـ أتون

٧ — منصب الوزير

٨ — حاكم السودان العام

٩ — كتاب هيرودوت في مصر

تطور التاريخ المصري

القديم

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسية أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى أن معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الأول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الأولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أن هناك بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فان لها تاريخاً . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ . بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار وقد أرشدتنا هذه العلوم مجتمعة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الأولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناة الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الأولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام يجب ألا يوضع في المكان الأول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصرى القديم ، لأن التقسيم كان قائماً

تطور التاريخ المصري

القديم

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسية أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى أن معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الأول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الاولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أن هناك بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فان لها تاريخاً . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ . بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار وقد أرشدتنا هذه العلوم مجتمعة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الأولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناة الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الأولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام يجب ألا يوضع في المكان الأول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصرى القديم ، لأن التقسيم كان قائماً

على التوحيد السياسي للبلاد تحت رعاية ملك واحد ، بعد أن كانت عبارة عن ولايات مفككة [1] والذي كان من نتائجه أن أصبحت البلاد جميعها ملتفة حول العرش رمز البلاد . ولقد تمت وحدة مصر الأولى على يد الملك مينا (نعرمر) أول ملوك الأسرة الأولى حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م. ونطلق عليه اسم « عصر الوحدة الأولى » .

العصر الرابع : وهو العصر المتوسط الأول ويشمل الأسرات السابعة الى العاشرة في نظر المؤرخين ولكننا ذكرنا أن عصر الوحدة الأولى ينتهي بالأسرة الثامنة. وبذلك يمكننا أن نطلق على المدة من الأسرة التاسعة الى منتصف الحادية عشرة اسم « عصر تفكك الوحدة الأولى » وذلك لأن التوحيد السياسي قد تفككت أوصاله في هذه الفترة من ٢٢٤٥ ق. م. الى ٢٠٧٠ ق . م.

العصر الخامس : يطلق عليه المؤرخون عصر الدولة الوسطى ويشمل من أول الأسرة الحادية عشرة الى آخر الأسرة الثانية عشرة ، ونرى هنا ان الوحدة السياسية قد عادت الى البلاد على يد الملك « نب-حبت - رع » منتوحتب الثاني حوالي سنة ٢٠٧٠ ق . م . أي من منتصف الاسرة الحادية عشرة ، واستمرت حتى منتصف الأسرة الثالثة عشرة (حوالي سنة ١٧٥٧ ق .م) ونسميه « عصر الوحدة الثانية »

العصر السادس : ويطلق عليه العصر المتوسط الثاني ويشمل من الأسرة الثالثة عشرة الى آخر الأسرة السابعة عشرة . ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثانية من منتصف الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة الخامسة عشرة أي من سنة ١٧٥٧ ق.م الى سنة ١٧٣٠ ق.م . وعصر حكم الغزاة الهيكسوس من حوالي سنة ١٧٣٠ ق . م الى سنة ١٥٨٠ ق.م . ويشمل من الاسرة الخامسة عشرة الى الاسرة السابعة عشرة .

العصر السابع : عصر الدولة الحديثة ويبدأ من الأسرة الثامنة عشرة الى أواخر الأسرة العشرين . ونحن نسميه « عصر الوحدة الثالثة » من حوالي سنة ١٥٨٠ ق . م الى حوالي

---

(١) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان التحديد الذي اتخذه المؤرخون - وهو بناء الاهرام - لا يؤيدهم فيما ذهبوا اليه من أن الدولة القديمة تنتهي بالاسرة السادسة فسنرى فيما بعد أن الملك امنمحات على سبيل المثال وغيره من بعده قد أقاموا اهرام مختلفة .

سنة ١٠٨٥ ق.م. (أي أنه بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك أحمس الأول واستمر حتى عهد رمسيس التاسع .

وأهم ما لوحظ من مزايا عصور الوحدة القومية بجانب الازدهار في السياسة والحضارة ووحدة وادي النيل أن ملوك تلك العصور وجهوا نظرهم الى سياسة خارجية خاصة نستطيع أن نقول إنها أصبحت سياسة تقليدية لكل ملك قوي يعتلي عرش مصر الموحدة ، أخذها الخلف عن السلف لدرء الخطر عن أجزاء المملكة المصرية الموحدة تحت عرش ملك واحد

(العصر الثامن):ويبدأ من الأسرة الحادية والعشرين الى أواخر الأسرة الخامسة والعشرين أي من حوالي سنة ١٠٨٥ الى سنة ٦٦٣ قبل الميلاد ويطلق عليه عصر اضمحلال الامبراطورية ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثالثة .

وقد أطلقنا عليه هذه التسمية لأنه قبل وفاة آخر ملك من ملوك الرعامسة حوالي سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد ضعفت سلطة الملك وقوي نفوذ كهنة آمون وخملت الروح الحربية بين المصريين . وقد أدت هذه العوامل التي ظهرت عند نهاية عصر الوحدة الثالثة إلى انقسام مصر إلى دولتين : احداهما جنوبية عاصمتها مدينة طيبة ويحكمها الملك حريحور ، وأخرى شمالية عاصمتها مدينة تانيس ويحكمها الملك نيسو بانب دد Nesubanebded (1) المعروف باسم سمنديس .

وقد اضطر الملوك في هذا العصر إلى استخدام الجنود المرتزقة من الليبيين وغيرهم مما دعا الى اسناد أكبر الوظائف الحربية الى الليبيين ، وقد ساعدهم هذا الى اعتلاء عرش مصر وتأسيس ما هو معروف في التاريخ بالأسرة الثانية والعشرين .

وكانت الممالك المجاورة لمصر آخذة في النهوض في تلك الآونة أي في عصر الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين فانتهزت فرصة التفكك والضعف في مصر وغارت عليها

---

(١) يظن كثير من العلماء أن Nesubanebded كان حاكما أو أميراً لمنطقة تانيس والواقع انه كان رئيس كهنة آمون وان حريحور كان رئيساً لكهنة آمون وقد ظن عنه Kees بأنه كان قائداً للجيش المصري ولكننا نرى ان حريحور جمع بين رئاسة الجيش ورئاسة كهنة آمون قبل توليه الحكم

من كل صوب ولم يقو ملوك مصر الضعفاء على حماية البلاد وضاعت أملاكها الاسيوية وفصلت النوبة عن مصر .

سعى ملوك النوبة [1] المتمصرين بمساعدة كهنة آمون على ضم مصر بقسميها ونجح الملك بعنخي في تأسيس أسرة نوبية في مصر وهي الأسرة الخامسة والعشرين غير أنَّ سلطتهم كانت ضعيفة في الدلتا لأن عدداً من الأمراء المحليين الاقوياء كان ينازعهم السلطة.

وفي ذلك الوقت كانت دولة الآشوريين قد اتسعت في آسيا حتى بلغت حدودها فلسطين مما سهَّل لهم التغلب على الدلتا حوالي سنة ٦٧٠ قبل الميلاد . ولكن الملوك النوبيين ظلوا في حرب معهم نحو عشر سنوات وأخيراً استطاع ملك الآشوريين المدعو آشوربانيبال طرد النوبيين فصارت مصر تحت حكمه مدة عشر سنوات وبقيت بها حامية منهم وعين حكاماً مصريين على الأقاليم المختلفة .

(العصر التاسع) : ويطلق عليه العصر الصاوي أو عصر النهضة المصرية وعصر الأسرة السادسة والعشرين . أما نحن فنسميه هنا بعصر وحدة مصر الرابعة وذلك لأن إبسماتيك كان في أول الأمر أميراً على سايس (صا الحجر) من قبل الآشوريين إلاَّ أنه عمل على التخلص من حكم الآشوريين فاستمال باقي الأمراء إليه وجلب الكثير من الجنود المرتزقة من الأغريق وقبل المساعدة التي قدمها له ملك ليديا الذي كان يريد هو أيضاً التخلص من سيادة الآشوريين فتمكن إبسماتيك حوالي سنة ٦٦٣ قبل الميلاد من طرد الحامية الآشورية ثم إخضاع الأمراء الآخرين مستعيناً ببعضهم على البعض الآخر حتى استقل بمصر وأعاد الى مصر وحدتها الرابعة واعتلى عرش مصر باسم الملك إبسماتيك الأول وخلفه إبنه نخاو ونهج نهجه وعاد الى مصر مجدها ثم تولى الحكم بعدها الملك أحمس الثاني .

وفي عهد إبسماتيك الثالث آخر ملوك هذه الوحدة أي حوالي سنة ٥٢٥ قبل الميلاد تغلب قمبيز ملك الفرس على مصر .

(العصر العاشر) : ويطلق عليه عصر استيلاء الفرس على مصر أو عصر الأسرة السابعة

---

(١) تمصرت النوبة تماماً قبل انفصالها وعبد أهلها الآلهة المصرية لا سيما الاله آمون مما زاد فيها من نفوذ كهنته وكانت عاصمة ملوك النوبة المتمصرين بلدة ناباتا .

والعشرين ، ونحن نسميه بعصر تفكك الوحدة الرابعة أي من حوالي سنة ٥٢٥ الى سنة ٤٠٥ ق.م .

ولقد حكم مصر في هـذا العصر بعد قمبيز الملك دارا الأول وأراد أن يصلح ما أفسده سلفه من هدم المعابد المصرية الى قتل المعبود المصري العجل إبيس فأبدى احتراماً كبيراً للمعبودات المصرية وشيد معبداً لآمون بواحة سيوه وبالرغم من تحبب الفرس الى المصريين تمكن المصريون من طرد الفرس وأسس الفراعنة[1] الأسرة الثامنة والعشرين سنة ٤٠٥ ق.م.

(العصر الحادي عشر) : عصر وحدة مصر الخامسة ويشمل حكم ملوك الأسرة الثامنة والعشرين ثم حكم مصر ملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين ولـكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باستقلالهم طويلاً إذ تمـكن الفرس من استعادة غزو مصر في عهد الملك نختنبو الثاني حوالي سنة ٣٤٢ قبل الميلاد وبقيت مصر تحت حكمهم الى سنة ٣٣٢ ق . ب أي الى أن انتزعها الاغريق على يد الاسكندر الأكبر .

(العصر الثاني عشر) : العصر اليوناني الروماني من سنة ٣٣٢ قبل الميلاد الى سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه اسم العصر القبطي المصري .

(العصر الثالث عشر) : من سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه العصر القبطي العربي .

---

(١) ورد اسم اول فرعون لهذه الاسرة في نص ديموتيقي « امون هور » بينما في نصوص المؤرخ مانيتون Amyratos

وحدة وادي النيل

في التاريخ القديم

كان وادي النيل منذ فجر التاريخ أي حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد من البحر المتوسط شمالاً إلى حدود الحبشة جنوباً ، الذي يضم الوجهين البحري والقبلي ومعظم السودان الحالي — مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً — وكانت العلاقات بين شعوبه قائمة .

ولقد تطورت هذه العلاقات بطبيعة الحال تطوراً تدريجيًّا حتى وصلت ذروة الرابطة الوثقى .

فان اهتمام الفراعنة كان قويًّا للسعي إلى توحيد أجزاء وادي النيل ويرجع هذا إلى سببين أساسيين :

أولهما العلاقة الطبيعية والحيوية ، وثانيهما العلاقة القومية والسياسية.

وكان الدافع إلى هذا الاهتمام بوحدة وادي النيل جريان نهر واحد، في وادٍ واحد، ووطن واحد . وبالتالي ضرورة تبادل المعرفة والمنفعة بين سكان هذا الوادي وسائر أنحاء أطرافه المتدانية والمتباعدة ليكون التعاون بينهم سهلاً ميسوراً حول عرش ملك واحد وحكومة واحدة .

فان المشروعات المائية والتبادل الاقتصادي لابد المحافظة عليهما أن يكونا تحت سلطة مركزية واحدة، لاسيما وأنه لا توجد حواجز أو حدود طبيعية بين أجزاء هذا الوادي .

وكان من نتائج الاهتمام بالوحدة ، أن التحم الملك مينا الذي يلقب بنعرمر حوالى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد مع خصمه حاكم الوجه البحري في مكان مصر القديمة الحالية وأراق ما أراق من دماء في ميدان الحرب لا للغزو والفتح ل لصالح مصر العام حتى وفق أخيراً لضم الوجهين البحري والقبلي .

منذ ذلك التـاريخ ، تاريخ ، اتحـاد الوجهين ، شعر الجزء المتحـد من الوادي بقيمة الاتحـاد والالتفاف حول عرش ملك واحد ، وتذوق الشعب ثمار هذا الاتحاد ونعيم هذا الالتفاف .

وهنا لأول مرة في التاريخ القديم ابتدأ تعاون الشعب والحـكومة على وجوب ضم شمل شتات باقي أجزاء الوادي أي السودان تحت لواء ملك الوادي ملك مصر

وكان من الطبيعي ان الوادي الذي يجري فيه نهر واحد ، والذي تقوم أجزاؤه على أسس واحدة ، يجب أن يكون ملتفـًا حول عرش ملك واحد،وحكومة واحدة ونظام واحد،لضمان تبادل المنفعة العامة والمصالح المشتركة بين جميع الناس سواءً بسواء،ولإقامة الحق والعدل بين الجميع ، والدفاع عن أرض الوطن من اعتداء البلاد المجاورة .

وكانت حالة مصر المتحدة قد بلغت من الحضارة شأواً فاقت به وفتئذ كل بلاد العـالم . فهي أول بلد ساد فيه نظـام الملـكية في حكومة مركزية تهدف إلى ادارة المصلحة المشتركة بين سكان وادي النيل .

وكان لهذه الحضـارة أثر ظاهر في مختلف نواحي العـلوم والهندسة والفنون والآداب والسياسة والقانون مما جعل مصر الفرعونية مصدر الحضارات القديمة ومهد العلوم والمعارف في العالم القديم .

إذ أن الملك مينا هو أول من أنشأ وظيفة الوزير في العالم القديم وكانت مهمته القيام بالأعمال الادارية والتفرغ لما فيه استتباب الأمن وسن القوانين وشق الترع وإقامة الجسور وغيرها من المصالح التي تهم الشعب المصري السوداني .

ولهذا ارتضى أهل الشمال والجنوب على وحـدة وادي النيل تحت تاج الملك مينا لجمع النيل السعيد بذلك شعوب الوادي قاصيها ودانيها حول عرش مصر ، وساهم كل فرد بنصيب في ترقية بلاده واسعادها فيما خصص له .

وكان من نتيجة هـذه الوحدة أن أخذ النظام القضائي شكلاً رسميًـا فدوّنت القوانين ونظمت المحاكم بعد ان أخذت اللغة المصرية والـكتابة بها شكلاً ثابتاً لم تحد عنه طول حكم الفراعنة .

ومن الطريف أن نظام التسجيل المعروف لدينا الآن كان متبعاً في ذلك الوقت وكانت الملكية لا تنتقل إلا بالتسجيل ، كما روعي في الوصية أن تكتب على يد اخصائي بحضور شهود — وكان يكتب الموصى أنه حائز على جميع قواه العقلية والجسدية ، وكذلك عرف في ذلك العصر نظام الضرائب على الأملاك : المنقول منها والثابت .

نهضت مصر حينذاك نهضة علمية تدعو إلى الاعجاب فقد عرف التخصص في المهن فكان هناك طبيب للعيون وطبيب للاسنان ومهندس ري وهكذا .

ويرجع الى عصر وحدة وادي النيل الأولى تقدم حساب الدورة الشمسية وتقسيم السنة الى اثنى عشر شهراً ، وتقسيم النهار والليل الى ساعات ، وكذلك عرف هذا العصر بتقدم فنون المعمار والنحت .

وكان مصريو ذلك العصر أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية ، وأول من دقّ على الطبل لتنظيم السير في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة ، وأول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالساق اليسرى على خلاف ما تعتقد الأمم الحديثة الآن بأنها هي التي ابتكرت هذا النظام .

وكأن النيل قد شعر بحاجيات سكانه فزادهم ربطاً أوفر ، وتكاتف سكان الوادي في تقوية الروابط بينهم وازدياد النفع المتبادل ، فوجهوا همهم للنيل فسكنوا واديه الخصيب وأخذوا يراقبون مواعيد فيضانه فزرعوا وحصدوا ورمموا الأعمال الهندسية فأقاموا الجسور وبنوا الخزانات وحفروا الترع ، فسهل لهم السفر في قوارب وسفن لتبادل المعرفة ومبادلة التجارة والمصالح . ولا سيما أن اختلاف أنواع المحاصيل المصرية والسودانية طبقاً لاختلاف الحرارة في البلدين ساعد على مبادلة التجارة وتقدمها .

وكفل النيل بذلك لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج وغيره .

هذه أمثلة قليلة لمزايا عصر وحدة وادي النيل الأولى يظهر فيها بعض ما وصل إليه المصريون في نواحي النشاط المختلفة من نتائج رائعة كانت ثمرة اتحادهم والتفافهم حول عرش ملك واحد وتمسكهم به في ولاء ووئام .

والذي يقدر ما للنيل من مآثر غراء على مصر والسودان وسائر البلدان واديه من أهمية حيوية، لا تكبر عليه مغالاة قدماء المصريين في وسمه وسماً مقدساً، ورفعه الى مرتبة الآلهة وإطلاقهم عليه الاسم المسجل تسجيلاً خالداً «حاعبي» إذ أنه صاحب الفضل الأول في حفظ حياتهم وهذا ما أوحى الى هيكاتيه الجغرافي اليوناني كلمته المشهورة «مصر هبة النيل» فنقلها عنه المؤرخ هيرودوت وقد صدقا في ذلك لأن كيان مصر الاقتصادي قائم على أساس الري والزراعة،فمن طميه الذي يجلب من الحبشة عاماً بعد عام تكونت تربة الوادي الخصيبة السوداء وقد كان المصريون القدماء يطلقون على مصر اسم كمت أي الأرض السوداء وبقيت في اللغة القبطية Xhmi أي مصر.

وينبع النيل من الجنوب ويتجه شمالاً على عكس نهر الفرات الذي ينبع من الشمال ويتجه جنوباً ولذلك سماه قدماء المصريين النهر المعكوس، بالنسبة لنيلهم. وهذا يدل على ما كان للنيل من أثر في تفكير قدماء المصريين.

واحتفلوا بعبادة النيل وأقاموا له الأعياد السنوية ولا يزال المصريون يحتفلون بفيضانه الى اليوم وفاءً لما أنعم عليهم من خصوبة ونماء.

وقد ترامت أخبار ما عم مصر والسودان من اصلاح في ذلك العصر الى الأقاليم المجاورة للوادي،فرحبت ليبيا بفكرة الانضمام تحت لواء ملك وادي النيل وتمّ لمصر ذلك بعد حرب لم يطل أمدها.

فعلمت مصر العالم القديم قواعد الحضارة وأصولها ونشرت نور مدنيتها على جاراتها مختلفة في ذلك شدة أو ضعفاً بحسب ما هيأت لها الظروف ذلك.

تزعمت مصر بذلك أقطار الشرق في تاريخها القديم واشتركت في تقديم التفكير البشري كما تتزعم هي الآن أمم الشرق في التاريخ الحديث.

وظلت مصر والسودان محتفظين بوحدتهما زمناً طويلاً وأخذت العلاقات تقوى وتزداد بين القطرين الشقيقين حتى حوالي سنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد حين راجت سوق التجارة بين شمال الوادي وجنوبه عن طريق القوافل.

وكانت تلك القوافل تختلف تمام الاختلاف عما نتصوره الآن عند ذكر اسمها من صف

الجمال الذي يخترق الصحراء ، إلى صف من الحمير يحمل كل منهـا العاج والذهب الأبنوسي من السودان، كما كانت تستعمل أيضاً في نقل المحاصيل الزراعية من مصر الى السودان .

وكانت تستعمل السفن أيضاً لنقل البضائع وغيرها بين القطرين بالنيل .

إلا أن هذا الطريق المائي بين مصر والسودان كان ضيقاً وعراً — وقد حدت أهمية هذا الطريق الحيوي بالكثير من ملوك مصر الاقدمين للاهتمام بدراسته ، وكان أول ما ظهر من هذا الاهتمام أن رأى الملك مري ـ أن ـ رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد تكليف أحد كبار موظفيه المختصين المدعو « اونى » حفر خمس قنوات عند مناطق الشلالات لتسهيل سير السفن بين مصر والسودان .

والظاهر أن حفر هـذه القنوات كان جزءاً من سياسة عامة تنطوي على ترقية الملاحة وعلى كشف كل الجهات الجنوبيـة من الوادي كشفاً منظماً للتعرف عليها ولمعرفة السودان كامل المعرفة بأرضه وأهله وموارده ، وتحسين طرق التجارة والعمل على انمائها بين مصر والسودان ، فملكوا بذلك زمام البر والبحر ، وكان هذا النشاط تعهداً مستمراً للمصلحة العامة المشتركة بين القطرين الشقيقين، لأن مصر والسودان مرتبطان بروابط طبيعية وقومية كما ذكرنا.

ولقد كان توحيد شمال الوادي وجنوبه سبباً في تسهيل رحلات نهرية استكشافية كقيام أحد أمراء أسوان المدعو Hw - f - Hor بأربع رحلات إلى السودان في عهد الملك مري ـ أن ـ رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد .

* * *

ويعتبر Hw - f - Hor هـذا في نظر التاريخ الكاشف الاول لمجاهل الاصقاع الواقعة في وسط أفريقيا .

فكان للسودان أثره العظيم في تسهيل هـذا الكشف إذ أنه كان بقعة مصرية آمنة مطمئنة .

وظلت مصر محتفظة بوحدتها وبالتالي ظلت وحدة وادي النيل قائمة ، وقد أدى الاتحاد الى كثير من الخير ، فركزت جهود بني الوطن مجتمعين الى سعادته ورفاهيته ، وعم الرخاء الزراعي والاقتصادي بلاد وادي النيل زمناً طويلاً الى أن انقسمت مصر فترة وجيزة

بسبب المنازعات الداخلية حتى جاء الملك نب — حبت — رع الذي يلقب بمنتوحتب الثاني في الأسرة المصطلح عليها بأنها الأسرة الحادية عشرة فأعاد الى مصر الفرعونية وحدتها المرة الثانية حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد وكان هذا العصر استمراراً في تقدم الحضارة والمدنية والعلوم، واطراداً في تطور ما وصلوا اليه في عصر الوحدة الأولى .

واقتنع الشعب المصري مرة أخرى بأن رفاهيته وعظمته في الاتحاد وفي الالتفاف حول العرش .

ونجح الملك نب — حبت — رع في ضم أجزاء الوادي فوفق ملك مصر لضم السودان ثانية كما سجل ذلك وزير مالية هذا الملك المدعو خيتي على جرانيت أسوان وأصبحت هذه الفكرة الوطنية فكرة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر برنامجاً وطنيًّا لكل ملك يعتلي عرش مصر .

واستمرت وحدة وادي النيل الثانية مدة من الزمن فأعيد ما بين طرفي الوادي من ود وصفاء ولكنه في العام التاسع والعشرين من حكم الملك امنمحات الأول أول ملوك الأسرة المصطلح عليها بالأسرة الثانية عشرة حوالي سنة ١٩٧١ قبل الميلاد بدأ اضطراب على الحدود الجنوبية فأرسل الملك أمنمحات ولي عهده الشاب وشريكه في الحكم المدعو سنوسرت الى السودان فنجح في تهدئة الحالة .

وعندما تولى سنوسرت بدوره حكم وادي النيل تولى قيادة إحدى الحملات التأديبية بنفسه الى السودان لتأمين حدود الوادي الجنوبية ضد المغيرين فنجح . وهكذا تجشم من الصعاب ما ذللها اعتقاده بأن سلامة الوطن لا تقوم الا بوحدة واديه .

ثم التفت الملك المصري الى أهمية السودان من الناحية الحيوية لمصر فرأى من خير الوسائل لتحقيق أمنيته تعيين «حبجا فى» حاكم أسيوط المصري الجنسية حاكماً عامًّا للسودان محققاً بذلك اهتمامه بأدارة شؤون السودان ومؤكداً بأن نفع السودان وخيره يرتكزان على الانضمام والاتصال لا البعد والانفصال .

وبلغ من إعزاز هذا الحاكم للسودان أنه بالرغم من وجود مقبرة له في أسيوط إلا أنه آثر أن يدفن في مقر عمله ببلدة « كرما » الواقعة بالقرب من الشلال الرابع مما يدل على أن

مصر والسودان كانت وطناً واحداً في نظره .

وبعدئذٍ أجرى هذا الملك سنوسرت تعديلاً في سائر الشؤون الكفيلة لنفع القطرين فعدل النظام الاداري في مصر بتعيين وزير ثانٍ الى جانب الوزير الأول يختص أحدهما بشؤون الوجه البحري ويختص الثاني بشؤون الوجه القبلي .

وفي عهد الملك سنوسرت الثالث حوالي سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد حفر قناة في النيل في مناطق الشلال الجرانيتية بعد أن تهدمت مع مرور الزمن القناة التي حفرها أونى الذي سبق ذكره في عهد الملك مري ـ أن ـ رع ، فضمن سنوسرت الثالث بتجديده القناة استقرار الصلة بين مصر والسودان ، وسميت هذه القناة بطريق سنوسرت الجميل — وقد ظلت هذه القناة مستعملة إلى عهد الملك تحتمس الثالث أحد ملوك عصر الوحدة الثالثة تقريباً .

وزيادة في تأمين حدود السودان أقام هذا الملك سنوسرت الثالث — حصنين متقابلين أحدهما في سمنه (جنوبي وادي حلفا أي بين الشلالين الثاني والثالث) والآخر في قه لكي يضمن بذلك سلامة البلاد واستتباب الأمن ، ولا تزال آثارهما باقية لتتحدث عن الدقة في اختيار مراكز التحصين بما ينم عن روح هندسية بارعة .

ثم أقام عدة قلاع لصد غارات الثائرين ولإمكان مراقبة جميع الطرق الموصلة الى وادي النيل وللذود عن كيان الوادي وحفظ سلامته .

وهذه القلاع كانت تكون سلسلة من أربع عشرة بلدة محصنة تمتد من هاتين القلعتين جنوب الشلال الثاني وتمتد شمالاً الى اسوان — وبديهي أن يكون لهذا النجاح العسكري مقابل من الرخاء المادي كما تشهد بذلك بعض النقوش المصرية .

وتحسن الاشارة هنا الى أن أقدم اتصال مائي بين البحر المتوسط والبحر الأحمر منذ عهد هذا الملك ، كان يجري لمسافة معينة متبعاً نفس الطريق التي تجري فيها قناة السويس الحالية ، وفي هذا ما فيه من مصلحة ومنفعة للسودان .

وقد اقتضى تبادل المنفعة بين مصر والسودان ان يضع الملك أمنحات الثالث حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد مقاييس للنيل في بلدة سمنة السابقة الذكر للتعرف بها على أحوال النيل

من حيث ارتفاع مياهه أو انخفاضها . وفي الحق ان مسألة النيل ومياهه من أهم مقومات وحدة وادي النيل التي لا غنى للسودانيين والمصريين عنها .

وجعل من هذه المقاييس فضلاً عن فائدتها للري معياراً لرخاء ذوي الأراضي الزراعية وأساساً للنظام المالي تجبى بمقتضاه الضرائب .

* * *

ولست أريد أن أطيل في ذكر أعمال كل ملك من ملوك عصر الوحدة الثانية خاصة وأني أوردت أمثلة عدة تبين مختلف وجوه النشاط المصري في السودان، فمن مشروعات مائية إلى عمرانية إلى حربية .

وغني عن البيان ان المصريين كانوا يبذلون كل ما في وسعهم من جهد لاسعاد السودانيين وتوفير كل خير لهم فسمحوا لاخوانهم السودانيين بالانضواء تحت راية جيش ملك مصر، ومنهم من كان ينتخب ضمن رجال الشرطة أيضاً . وقد استمر الحال على هـذا المنوال طوال العهد الفرعوني . وما زالت الشواهد تظهر في كل عصر ودور لمن يمعن النظر حتى الآن . إذ نرى في وقتنا الحاضر بوليساً من السودانيين يسمى « بوليس الهجانة » ومركزهم الرئيسي بلدة عين شمس الأثرية ، فنرى أن التـاريخ يعيد نفسه ويدل على أن السودان ومصر جزء لا يتجزأ .

واستمرت هذه العلاقات الطيبة في تاريخ البلدين تزداد وتقوى حتى نهاية عصر وحدة مصر الثانية أي حوالي سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد

وظلت مصر محتفظة بعظمتهـا طوال أيام مجدها حتى شعر رجال الجيش وحـكام الأقاليم بقوتهم فأخـذوا يتمعدون عن العرش ويحاول كل منهم الانفراد بالسلطة والجاه ، وبدأ التشاحن والتنازع بينهم وقد أدى ذلك الى ضعف مصر فداهمها العدو المعروف في التاريخ باسم الهيكسوس واستولى على جزء كبير منها كان ذلك حوالي عام ١٧٣٠ قبل الميـلاد وظل الأجنبي يستعمر مصر حوالي قرن ونصف قرن إلى أن شعر المصريون بخطإهم وعرفوا أن التناحر على الحـكم والانقسام وعـدم الالتفاف حول العرش كان سبب نكبتهم وتفكك وحدتهم واحتـلال بلدهم فقاموا قومة رجل واحـد ملتفين حول الملك احمس الاول (بطل حرب

الاستقلال في دورها الأخير) فتمكنوا من طرد المستعمرين الأجانب حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد من أرض الوطن .

وعادت مصر للمرة الثالثة إلى مجدها القديم بفضل وحدتها والتفافها حول مليكها .

وبعد أن انقشعت غمة الاستعمار بطرد المحتلين وبعد وحدة مصر والتفاف شعبها حول ملك مصر نجد أن العلاقات بين مصر والسودان يتصل حبلها من جديد في صورة رائعة ، وكانت هذه الوحدة هي الشعلة الوقادة التي تضيء للوادي سبل الحياة والحضارة

ونجد أن منصب حاكم السودان العام يعاد ويضاف لشاغله لقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها أن يكون الحاكم حقـًا من أبناء البيت المالك ولـكن هذا اللقب في الواقع معناه أن حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصـال بمليك الوادي وفي هذا اللقب اشارة جليلة وجلية الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحـكم والادارة كما ان فيه أيضاً شعوراً سامياً لأهل السودان بأن ملك مصر قـد أرسل لهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الشقيقة .

ومن طريف ما يحدثنا به التاريخ القديم في هذا الصدد أنه عندما تولى الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد أرادت الحـكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فـكتبت ما معناه :

« أمر ملـكى إلى حاكم السودان العام المدعو تورى لـكى تعلم ان جلالة الملك تحتمس أصبح ملك الشمال والجنوب ولـكي تنشر ألقابه ولـكي تعلن بأن حلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس . . . »

وكان من اختصاص حاكم السودان العام تصريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل القضائية والمالية .

ويحدثنا التاريخ أن كل حاكم عام للسودان كان بإدارته الحازمة يعمل على رخاء البـلاد الشقيقة ونشر الأمن فيها .

وكان مركز حاكم السودان العام أحد المناصب الـكبيرة في تاريخ مصر الفرعونية وله من المسئوليات ما لا يقل عن منصب الوزير نفسه . فكما كان للملك حق تعيين الوزير فإن له

الحق أيضاً في عزله ، وكما كان لملك مصر وحده حق تعيين حاكم السودان العام كان له وحده حق عزله .

وكان وجود منصب حاكم السودان العام على هذه الصورة وبهذا اللقب أقوى برهان على اعتبار السودان جزءاً من مصر وعلى اعتبار السودان أرضاً مصرية .

ولقد استمر الصفاء ناشراً أجنحته على وادي النيـل مصره وسودانه وزادت الروابط الثقافية بين البلدين فأنشأ ملوك مصر بلاداً مصرية في السودان وأقاموا فيها المعابد المصرية لتوحيد اللغة والعبادة بين أطراف الوادي فعلى سبيل المثال أقام الملك تحتمس الثالث معبداً على نسق معبد الكرنك لعبادة الالـه آمون في بلدة نباتا بالقرب من الشلال الرابع .

كذلك نعلم أن المصريين قد أسسوا مصـانع ومتاجر في مختلف أنحاء السودان لـكي يسعد أهل السودان من جراء تعليم الحرف والصناعات فيمكن للسودان بذلك أن يجاري مصر في نهضتها الصناعية وفي رقيها التجاري والاقتصادي .

وكانت مظاهر الوادي كله مصبوغة بصبغة واحدة هي الصبغة المصرية فنجد على سبيل المثال في مقبرة « حوى » حاكم السودان العام في عهد الملك توت عنخ آمون حوالي سنة ١٣٤٠ قبل الميلاد رسماً يمثل وفداً سودانيـًا حضر الى مصر ليقدم فروض الولاء والطاعة لملك مصر ويحمل الهدايا اليه ، ومما يستحق الذكر أن أعضاء هذه البعثة كانوا يرتدون الملابس المصرية ، أي أنهم كانوا مصريين في حياتهم الخاصة وحياتهم العامة وبذلك استوى الشعبان المصري والسوداني في النهضة والرقي .

وظلت مصر والسودان محتفظة بوحدتها زمناً طويلاً واستمرت العلاقات تقوى بين مصر والسودان فقد زار الملك حور محب السودان حوالي سنة ١٣٠٠ وعند رجوعه نراه ممثلاً على جدران معبد جبل السلسلة محمولاً في محفة على أكتاف صفوف من جنوده كل صف يتكون من ستة من الجنود يتقدمه فريق من فرق الجيش السوداني . وهذا يرينا إلى أي حد امتزج السودانيون بالمصريين واشتركوا في أعيادهم وحفلاتهم ويرينا أن فكرة استعمار المصريين للسودان غير صحيحة .

كما كان من أهم أعمال الملك رمسيس الأول الداخلية اصلاح الطريق الموصلة الى مناجم

الذهب بصحراء النوبة الشرقية وهذا يعود بالخير الوفير على مصر والسودان معاً .

ومن الطريف أن نذكر أننا نجد الكهنة في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني الذي حكم من حوالي سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد يحملون تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل عهد هذا الملك على الترتيب الآتي :— الملك مينا، ثم نب حبت رع، ثم أحمس.

وهكذا يسجل التاريخ ان أقدس ما يمثله الملوك والحكام إيمانهم بتخليد صحائف العزة القومية فتعرض في مواسم جلوسهم على عرش آبائهم وأجدادهم علائم النهضة ومواكب الامجاد ومفاخر الاجيال ، إذ أن هذه الاسماء الثلاثة كانت ترمز في أفكار قدماء المصريين الى أهم أعلام وحدة وادي النيل .

وخلاصة القول إن الآثار والنصوص تملأ الوادي من الشمال الى الجنوب وتنوه بوحدة الأغراض الداخلية والخارجية للقطرين الشقيقين وتؤيد حق مصر في السودان .

فالقطران الشقيقان يرتبطان بعرى النيل الوثيقة منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحالي لاغنى لأحدهما عن الآخر .

ويعيد الآن التاريخ نفسه في اجماع شعب الوادي — مصره وسودانه — على الالتفاف حول مليك الوادي فاروقنا المحبوب للسعي لتحقيق أهداف الوادي القومية والحيوية .
حفظ الله الملك لمصر ذخراً ولشعب الوادي قدوة وفخراً .



أهم أعلام وحدة وادي النيل

١ — الملك نب حبت رع
مؤسس الدولة الوسطى (عصر الوحدة الثانية)
حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد

اختلفت الآراء في تعيين مؤسس الدولة الوسطى [١] ، فزعم البعض أن ذلك المؤسس هو أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، أي — في تقديرهم — الملك انتف (واح عنخ)[٢]. ورأى آخرون أن المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى هو الملك أمنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة [٣]

والرأي عندنا أنه لا هذا ولا ذاك، وإنما هو « نب ـ حبت ـ رع » ، وذلك لما نورده من اعتبارات فيما يلي :

أولاً : يقول أصحاب الرأي الأول أن الملك انتف (واح عنخ) هو مؤسس الدولة الوسطى ، لأنه أول ملوك الأسرة الحادية عشرة، وقد أثبتت الحفائر الأخيرة خطأ هذا الرأي ، لأن حفائر المعهد الفرنسي بالقاهرة في منطقة « طود » كشفت لنا عن ملك غير معروف من قبل يدعى انتف (سهرتاوي)[٤] ، وقد تولى المُلك قبل انتف (واح عنخ) فليس لنا بعد ذلك أن نعتبر أنتف (واح عنخ) أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، ولهذا لا نأخذ بهذا الرأي . ثم إننا لا نرى أن نجعل مبدأ الأسرة بدءاً للدولة ، لأن الدولة إنما تبدأ حين تتم وحدة البلاد ، فتتجمع أقسامها تحت سلطان ملك واحد . والواقع أن انتف

---

(١) الدولة الوسطى هي القسم الثاني من الاقسام القومية الثلاثة الكبرى التي مر بها التاريخ المصري القديم في عهد الاسرات الفرعونية ، وكان فراعنة مصر في أثنائها يحكمون مصر الموحدة .

(٢) من أنصار هذا الرأي Breasted في كتابه History of Egypt صفحة ١٣١ ، ٢٣٤

(٣) من هذا الفريق Junker في كتابه Die Aegypter صفحة ٨٧ .

(٤) راجع Vandier, Un Nouvel Antiq. de la XI. Dyn. (Bulletin de l'Inst Fr.XXXVI)

(واح عنخ) لم يقم بهذا التوحيد ، وإنما رجعت الى مصر الوحدة القومية على يد الملك « نب ـ حبت ـ رع » ، بعد أن سادتها الفوضى قبيل أواخر الأسرة الثامنة ، وبعد أن انقسمت البلاد المصرية الى قسمين متعاصرين ، أحدهما تحت حكم ملوك البيت الإهناسي ، والآخر تحت حكم ملوك طيبة[1] . ويثبت ذلك أن الملك نب ـ حبت ـ رع قد سجل على حوائط معبده في « جبلين » مفاخرته بقهره المصريين والاجانب على السواء ، فنجده يصف نفسه على المناظر المنقوشة على إحدى القطع بأنه « قهر رؤساء القطرين ، ووطد الأمن في الشمال والجنوب وكذا في البلاد الأجنبية ، وفي البلدتين (أي العاصمتين) » . فهذا النص يدل على أنه وحّد الوجهين ، وأخضع البلاد المجاورة — هذا وإن المناظر المنقوشة تحت ذلك النص على نفس القطعة السابقة تمثل الملك وهو يضرب أربعة من أعدائه ، وهم يمثلون بالتتابع (١) المصريين (٢) النوبيين (٣) الأسيويين (٤) الليبيين : فالعدوُّ الاول ولو انه لا توجد فوقه كتابة تدل عليه إلاَّ أن شكله يدل على أنه مصري ، ومعنى ذلك أن الملك حارب المصريين وانتصر عليهم سواءٌ في ذلك أهل مصر الوسطى والوجه البحري ، ولم يميز الملك بين عدوّه المصري وعدوّه الاجنبي فوضع المصريَّ مع أعدائه الاجانب ، وبعبارة أخرى أن الملك لم يفرق بين انتصاره على الوجه البحري أو مصر الوسطى وانتصاراته على البلاد المجاورة لمصر .

ويظهر أن هذه الحرب التي شنها هذا الملك على مصر الوسطى أدت الى سقوط آخر ملوك الاسرة العاشرة في إهناسيا ، وبذلك تمكن هذا الملك من حكم مصر الموحدة .

أما العدو الأسيوي المهزوم فيرمز الى نصر الملك على الأسيويين القاطنين في شمال الدلتا الشرقية ، وهذا يؤيد ما نقوله من أن نب ـ حبت ـ رع وحّد مصر ، لأنه لا يستطيع هزيمة الأسيويين إلاَّ بعد بعد أن يتم له الاستيلاءُ على مصر الوسطى والدلتا .

أما النصر على العدو الليبي فلا يتصور إلاَّ إذا كانت سيادة الملك قد امتدت على حدود مصر الغربية .

---

(١) وطبيعي ان هذا التوحيد الذي تم في عهد نب ـ حبت ـ رع لم يتم في يوم وليلة ، بل مر بأدوار طويلة وحروب كثيرة بين ملوك اهناسيا أي ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة وبين أمراء طيبة الذين كونوا في التاريخ ما هو معروف بالاسرة الحادية عشرة .

ثانياً : والدليل الثاني على ما نرى أننا نجد اسم الملك « نب ـ حبت ـ رع » يظهر كثيراً على آثار متأخرة ، لانه كان معتبراً أهم ملك في الاسرة الطيبية الاولى . بل نجد برهاناً أدل على ذلك إذ قد ورد اسم هذا الملك في معبد الرامسيوم[1] بين اسم الملك مينا مؤسس الدولة القديمة واسم الملك أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة فنجد الكهنة في حفلة تتويج رمسيس الثاني يحملون تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل عهد رمسيس الثاني على هذا الترتيب: الملك مينا ، ثم الملك نب ـ حبت ـ رع ، ثم الملك أحمس الاول ، ثم باقي ملوك الاسرة الثامنة عشرة ما عدا الملكة حتشبسوت ، ثم ملوك عصر العمارنة ، فالملك حورمحب ، فرمسيس الأول ، ثم سيتي الأول ، ورمسيس الثاني .

* * *

واننا نلاحظ أن اسم هذا الملك قد ذكر بين أسماء مينا وأحمس ، وهما ملكان يرمزان في عقلية المصريين القدماء إلى ابتداء عصرين عظيمين في التاريخ المصري القديم ، فمينا هو مؤسس الدولة القديمة وأحمس هو مؤسس الدولة الحديثة . وهذا الوضع يدل بداهة على أن « نب ـ حبت ـ رع » كان يعتبر أيضاً أنه ابتدأ عصراً جديداً ممتازاً في تاريخ مصر ، وهو المعروف « بعصر الدولة الوسطى » ، لأنه وحّد مصر كما وحّدها من قبله مينا ومن بعده أحمس [2] .

فمن هذا نستدل على عظمة « نب ـ حبت ـ رع » تلك العظمة التي نوّه بها من خلفه من الملوك لتوحيده مصر من جديد .

ثالثاً : من الواضح أن الملك نب حبت رع كان اسمه قبل أن يتم له توحيد مصر « نب ـ حبت ـ رع ، ذا التاج الأبيض المقدس "منتوحتب" » ، فلما وحد الوجهين استبدل باسمه الحوريسي اسماً مناسباً لموقفه الجديد وهو «سماتاوي» ، أي موحد الارضين ، (والمقصود

....

(1) R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III Tafel 163

(٢) ومما يلاحظ في هؤلاء الثلاثة أنهم من الجنوب ، وان كلا منهم استولى على الدلتا ، أي أن كلا منهم حكم وجهي القطر المصري على أساس غزوه للدلتا ثم مد سلطانه على الشمال .

بهما الوجهين القبلي والبحري) . فأصبح اسمه نب ـ حبت ـ رع السياتاوي[1]. فهذا الاسم أيضاً يدل على أن الملك « نب ـ حبت ـ رع » قد حكم الوجهين القبلي والبحري وكذلك شمل نفس التغيير لقب نبتي ، .أما الاسم الشخصي فقد بقي في الحالتين « منتوحتب » . وكذلك اسم العرش أو اسم التتويج، فقد بقي في الحالتين واحداً في النطق، ولاعبرة باختلاف الرسم[2]. وقد كان الباحثون من قبل يعتقدون أن اسمي « نب ـ حبت ـ رع ذي التاج الابيض ، ونب ـ حبت ـ رع ـ السياتاوي » أطلقا على ملكين مختلفين لا على ملك واحد، ويقولون إن معبد الدير البحري الذي يرجع تاريخه إلى الاسرة الحادية عشرة[3] إنما بناه ملكان اسم أحدهما « نب

....

(١) ولتأييد هذا أضيف أن ظاهرة تغيير أسماء الملوك موجودة في تاريخ مصر القديم قبل عصر هذا الملك ، ولنذكر خاسخم على سبيل المثل فقد غير اسمه الى خاسخموي . راجع :
G. Möller, Namenwechsel von Königen des olten Reichs و K. Sethe, Zunt Namenswechsel des Königs Pipj I. (طبيعي بعده اخناتون وتوت عنخ آمون وحرمه)

(٢) نجد اختلافاً كبيراً بين العلماء حول قراءة خرطوش هذا الملك ففريق من العلماء وعلى رأسهم برستد (Anc. Records, Hist. o: Eg.) ودريتون مثلا Et. Drioton et I. Vandler, Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, 1938 p. 234) يلقبه بلقب « نب ـ خرو ـ رع » ، وفريق آخر من العلماء وعلى رأسهم نافيل في كتابه Naville, the XI Dyn. Temple at Dier - Bahari p. 3-5 و Sethe, äZ, 62 (1927) . Hall, History of the Nur East يلقبه بحق بلقب « نب ـ حبت ـ رع » . أي أن الخلاف منحصر في قراءة العلامة المقذاف هل تقرأ « خرو » أو « حبت » ، ولكن كلا من الاستاذين Naville و Sethe قد أثبت بحق أن هذه العلامة « المقذاف » تقرأ في هذه « حبت » ، لا سيما وأن اسم هـذا الملك قد ورد لنا في بردية Abbott مكتوباً منتهياً بحرف التاء ، فهذا يثبت لنا أن علامة « المقذاف » لا يمكن في هـذه الحالة أن تنطق « خرو » . وعلى هـذا الاساس يكون النطق الاصح لاسم هذا الملك هو « نب حبت ـ رع » .ومن الجائز أن اختلاف العلماء في قراءة هذه العلامة هو الذي أدى البعض الى أن يظن أن هناك ملكين بدلا من ملك واحد .

(٣) قوة هذا الملك وعظمته تتجلى بأوضح بيان في معبده الجنائزي في الدير البحري ، فانه بعد أن تمكن من القضاء على الحروب الاهلية ، وبعد أن عمل على راحة الشعب وعلى وجود السلام والتقدم بعد عصر الفوضى والاضطراب ، عمل في بناء معبده العظيم الذي كان يعتبر في عصره أكبر وأهم بناء في العاصمة طيبة . وهو يقع جنوبي معبـد حتشبسوت ، وقـد ابتدأت الحفائر للبحث عن هذا المعبد سنة ١٩٠٣ ، وقام بهـا الاستاذان Naville و Hall ، وكانت نتيجـة حفرهما أنهما أخرجا للعـالم بناء عظيما لا يخضع لقواعد البنـاء التي كانت معروفة قبل ذلك ، وهذا المعبد قد أوحى فيما بعد الى المهندس Sen-n-mut بالفكرة التي بنى عليها معبد الدير البحري الخاص بالملكة حتشبسوت .

حبت ـ رع ـ ذي التاج الابيض» ، واسم الثاني « نب ـ حبت ـ رع (نب ـ خرو ـ رع) السماتاوي » .

ولكن البحوث الفنية المعمارية كانت تناقض فرضهم وتضعف حججهم، لان H. Bonnet [١] أثبت أن معبد منتوحتب نب ـ حبت ـ رع الموجود بالدير البحري من بناء ملك واحد لا ملكين

أما نحن فقد بينا أن الملك حمل الاسمين جميعاً ، ورفضنا قول الذين جعلوه ملكين حكما على التعاقب ، ونحن بهذا نقدم برهاناً جديداً على صحة رأي Bonnet . فلنا إذن أن نفترض أن الملك « نب ـ حبت ـ رع » بدأ في بناء هذا المعبد قبل توحيد البلاد المصرية ثم انتهى من بنائه بعد التوحيد[٢] .

رابعاً : مما يؤيد قيام هذا الملك بتحقيق الوحدة المصرية تمثال له في المتحف المصري يمثله لابساً تاج الوجه البحري الأحمر .

خامساً : نجد رسماً لهذا الملك في جهة « شط الرجال » [٣] (بالقرب من أسوان) ، يحمل على رأسه تاج الوجهين القبلي والبحري ، وذلك يؤيد النتيجة السابقة .

فمن كل هذه الأدلة يثبت لنا أن « نب ـ حبت ـ رع » أول من وحّد المملكة المصرية في عهد الأسرة الحادية عشرة . وعلى هذا الاساس يكون هو المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى ، وليس أنتف الأول

وكذلك لا يمكن الأخذ بالرأي الثاني ، وهو رأي يونكر وغيره من العلماء ، من أن أمنمحات الاول هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، لاننا أثبتنا الآن أن أول من قام بتوحيد المملكة في هذا العهد هو الملك « نب ـ حبت ـ رع » ، وهو سابق لامنمحات، ونحن نعلم تمام العلم أن توحيد المملكة استمرّ في عهد من خلفه من الملوك، فحادث استيلاء « نب ـ حبت ـ رع » على كل أرض مصر وتوحيدها من جديد حادث تاريخي هام جدّاً .

وعلى العموم فقد كان هذا الملك رجلاً عظيماً وحّد البلاد، فبدأ بذلك عصراً جديداً

....

(١) H. Bonnet : Zur Bangeschichte des Mentuhoteptempels (ä, Z 60 40)

(٢) فلكل هذه الاسباب مجتمعة سأجعل من « نب ـ حبت ـ رع ذي التاج الابيض » و« نب ـ حبت ـ رع السماتاوى » شخصية واحدة تحت اسم الملك « نب ـ حبت ـ رع » منتوحتب الثاني .

(٣) انظر Maspero : The Dawn of Civilisation p 463.

ممتازاً في تاريخ مصر . وقد أنشأ عاصمة جديدة هي طيبة ، فاشتركت هذه المدينة لأول مرة في الحياة السياسية ، وامتد نفوذ إلهها آمون في الحياة الدينية . وكان هذا الملك بناءً كبيراً وإدارياً عظيماً ، وقد استطاع فوق ذلك أن يوجه عنايته للسياسة الخارجية بعد توحيده البلاد المصرية ، وسيطرته على النوبيين[١] في الجنوب فحارب قبائل العامو[٢] في الشمال الشرقي والليبيين في الشمال الغربي[٣] .

ولعلّ تساند هذه العلل وتماسك تلك الحلقات — من نصوص وآثار ومقارنة — مما يرفع الشك ويزيل الخلاف .

---

(١) ونجد على النقوش الموجودة على الصخور بجهة أسوان أحد موظفي مالية هذا الملك المدعو خيتي واقفاً في حضرة الملك « نب – حبت – رع » ، وبجانب تلك الرسوم نجد النص الآتي : —

« في السنة الحادية والاربعين من حكم الملك نب – حبت – رع أتى حامل ختم الملك ظافراً وعاد بالسفن من واوات » فمن هذا النص نستنتج تاريخياً أنه في عهد « نب – حبت – رع » هذا قد ارسلت حملة إلى إحدى بلاد النوبة (الواوات) . ومما يؤكد ذلك أن لدينا قطعة من معبده ، وهي الآن في متحف جنيف ، رسم عليها أسير ملون باللون الاسود لون أهالي بلاد النوبة ، وكذلك عرفنا محاربته للنوبيين من نصوص ونقوش معبده في جبلين كما بينا سابقاً . ومما تجدر ملاحظته هنا أن تاريخ هذه الغزوة هو السنة الحادية والاربعين من حكم هذا الملك ، مما يثبت لنا أن منتوحتب الثاني (نب – حبت – رع) قد حكم على الاقل إحدى وأربعين سنة ومما يدل على طول مدة حكم هذا الملك أيضاً ، أنه توجد لوحة حجرية في متحف تورين لاحد موظفي هذا الملك المدعو Meiw وأهمية هذه اللوحة أنها تثبت لنا أنه قد حكم على الاقل ستاً وأربعين سنة ، بل أكثر من ذلك ، فقد وصل إلينا مدة حكم هذا الملك على بردية تورين مقدرة باحدى وخمسين سنة ، وقد مكنه طول مدة حكمه هذا أن ينهي مشروعاته العظيمة . Farina, Il papiro die Re, Roma 1938.

(٢) لدينا قطعتان حجريتان مكسورتان من نص تاريخي تفيد ان أن الملك نب – حبت – رع حارب قبائل العامو الساكنة على حدود مصر الشرقية ، وكذلك وجدنا رسوماً للعامو والاسيويين في معبده أي أنه ثبت لنا تاريخياً أن « نب – حبت – رع » هذا قد حارب العامو . وبما أننا نعرف أن العامو يسكنون على حدود مصر الشمالية الشرقية ، فاننا نستنتج تواً أن الملك الذي يحارب هؤلاء الاقوام لابد أن يكون أولا مسيطراً على الدلتا حتى يستطيع أن يتفرغ لمحاربتهم ، لانه لو كان أهل الدلتا معادين للملك لقطعوا عليه خط الرجعة ، ولهلك الملك وجيشه ، وهذا من أهم الادلة التي تؤيد سيطرة الملك على الوجه البحري

(٣) عرفنا محاربته لاهل ليبيا من نصوص ونقوش معبده .

ب — الملك امنمحات الأول [1]

كيفية اعتلائه العرش : عقب وفاة الملك منتوحتب الرابع (نب ــ تاوى ــ رع) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة بغير وارث قام نزاع بين الأمراء [2] على تولي الحكم ويظهر أنه لم يكن بينهم أحد ذو شخصية بارزة . لهذا نرى أن امنمحات — وقد كان وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة — يتطلع الى المُلك ويمهد لنفسه بما أذاعه في البلاد من نبوءة ادعى وجودها منذ عصر سنفرو ، وهي تصف ما سيحل بمصر من الخراب وتنادي بأنه سيظهر ملك من الجنوب اسمهُ « اميني » وهو مختصر امنمحات) يحكم الوجهين القبلى والبحري حكماً صالحاً فيوطد حكمه طمأنينة الناس وفرحهم .

ولقد ساعد على تحقيق مأربه واعتلائه العرش ما عرف عنهُ وهو وزير من نفوذ كبير فقد كان يحمل ألقاباً سامية غير الوزارة

على أن بعض العلماء يشك في أن الملك امنمحات هذا هو امنمحات وزير الملك منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة على أحدث الآراء . ولكنهم لم يستطيعوا أن يفسروا لنا اجتماع العوامل المختلفة على تأييد وجهة نظرنا . فانه مسلّم من ناحية بأن الملك منتوحتب الرابع توفي عن غير وارث ، وأنَّ أحداً من الأمراء لم يثبت انه كان إذ ذاك يسمى باسم امنمحات وإن هـذا الاسم كان على وجه اليقين لوزير الملك المتوفي وان هذا الوزير كان ذا سطوة ونفوذ فليس هناك ما يدعو الى الوقوف عن ترجيح الرأي بأن يغتصب هذا الوزير

---

(١) حكم من عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ١٩٧٠ ق. م. وليلاحظ الخطأ الشائع في بعض المؤلفات العربية من ايراد اسمه بالعين (امنحعت) أو بالياء (امنمحيت) بدلا من الالف وهذا الخطأ منشأه التعريب من المصرية القديمة . وليلاحظ انى أخالف كثيرين من العلماء في عدم عده مؤسس الدولة الوسطى وليلاحظ ان اسمه يبدأ بلفظ الاله « أمون » وانه يمكننا أن نستنتج من ذلك ان صاحبه من الجهة التي كانت عبادة الاله أمون سائدة فيها وبذلك الحين وعلى ذلك يكون امنمحات الاول من جهة الاقصر وأرمنت

(٢) هؤلاء الامراء كانوا عبارة عن ملوك صغار في أقاليمهم فلكل منهم جيشه الخاص وحاشيته الخاصة ومقبرته الخاصة التي حفرها في صخور عاصمة ملكه .

المُلك خصوصاً وان التاريخ من ناحية ثانية قد ضرب لنا أمثلة أخرى لمثل هذه الحالة عند ما قام الوزير « يارعمسو » نفسه ملكاً باسم رمسيس الأول وعند ما انتزع القائد حور محب العرش وتسمى باسم الملك « حور محب » .

على ان هذا المنطق تؤيده أدلة تاريخية أخرى فكيف يمكن أن نجمع بين ما ورد في النبوءة السابقة الذكر من ان ملكاً من الجنوب سيتولى الحكم وبين ما هو ثابت من ان هذا الوزير كان من الجهة المذكورة ، لو لم يكن ما ذهب رأينا اليه صحيحاً .

ما اتخذه في سبيل تأييد عرشه وأهم أعماله : ما إن أحست البلاد المجاورة بأزمة الحكم في مصر حتى حشدت جنودها على الحدود الشمالية الشرقية والجنوبية تطلعاً الى آمال الغزو فبادر امنمحات فوراً الى طرد العدو بحزم وشدة شكيمة من تلك الحدود فأعاد الطمأنينة الى البلاد وكسب ثقة رعاياه.

اما الأمراء والحكام فقد سعى الى استمالتهم بما منحهم من اقطاعيات وما وسعه من دائرة أراضي بعضهم كما فعل مثلاً مع خنوم حوتب الأول إذ عينهُ حاكماً على منعات خوفو (بني حسن) ثم أقطعه بعد ذلك اقليم قسم الوعل وذلك مكافأة له على اخلاصه له ومساعدته إياه في حروبه الداخلية والخارجية .

وجرى الملك امنمحات الأول على سياسة توحيد الكلمة بين المتخاصمين فأخذ يطوف في القطر ويفض المنازعات بين الحكام ويبسط العدل .

وقد اقتضت الحكمة من ذلك الملك أن يهدم من سلطة حكام الأقاليم بإقامة كبار الموظفين منافسين لهم في النفوذ وجرى على تلك السياسة الادارية ملوك الأسرة الثانية عشرة من بعده حتى زال ما للحكام من سطوة نهائيًا .

وقد راعى الملك في توزيع السلطات الادارية ان يكون لولي عهده قسط فيها حتى يلم شيئاً فشيئاً بمختلف نواحي الحكم ويتدرّب عليه ويمهد له السبيل ضماناً لبقاء العرش لخلفه فأشركه معهُ في الحكم إشراكاً فعليًا عشر سنوات كاملة قبل وفاته . وقد جرى على هذا النحو خلفاؤه من بعده. ولعلّ ما أوعز اليه باتخاذ هذا التدبير تدبير مؤامرة غير موفقة لاغتياله

وقد تطلب تركيز السلطة الادارية في العاصمة ، نقلها من طيبة (لم يكن مكانها يتوسط

القطر إذ هي نائية عن مصر الشمالية وقريبة من الحدود الجنوبية) الى اثيتاوى (ومكانها الآن بالفيوم بالقرب من بلدة اللشت الحاليـة وعلى بعد أربعة أميـال من جنوبي منف) . والى جانب هـذا التعليل الاداري الذي يستند الى معنى « اثيتاوى » وهو قابضة الارضين (أي الوجهين القبلي والبحري) قد تكون العلة في اختيار العاصمة الجديدة بين منف والفيوم متصلة بمشروعات الري العظيمة التي بدأت في ذلك العصر ولا سيما أن معظم الأراضي بجوار منف كانت ملكاً للبيوت القديمة التي أصبحت الآن ملـكاً للتاج ومن ممتلكات الملك .

وإذا أضفنا الى واقعة بدئه حكمه باختيار موقع عاصمته الجـديدة بين منف والفيوم ، وجود مقبرة له في شكل هرم بالقرب من الفيوم ووجود هرم ابنه سنوسرت الأول في جهة الفيوم أيضاً ووجود لوحة حجرية له في بلدة اجبيج بالفيوم ، وكذلك وجود بقايا مسلة له ما زالت كائنة في مزارع تلك البلدة ، وأينا في ذلك ادحاضاً صريحاً لما يزعمه بعض المؤرخين من ان اهتمام قدماء المصريين بجهة الفيوم قد بدأ في عهد الملك امنمحات الثالث وتأييداً لما نقوله من ان عناية ملوك الأسرة الثانية عشرة بها ترجع الى عهد الملك امنمحات الأول .

بعد ان فرغ الملك امنمحات الأول من التنظيم الاداري للبلاد بدأ في ارسال البعثات الى منطقة سينا لاستغلال المناجم واستخراج مسحوق معدن النحاس لتنمية موارد البلاد المالية وقد سار باقي ملوك هذه الأسرة على ما بدأ به هذا الملك في هذا الصدد . ولقـد ظن بعض العلماء ان ارسال البعثات الى سينا لم يكن قد بُـدىء فيه في عهد الملك امنمحات الأول وأنه قد استقل بذلك دونه من أتى بعده من ملوك هذه الأسرة . غير ان هذا القول مردود بما وجدناه في سينا من آثار الملك امنمحات ذاته . ويجدر بنا ان نذكر أن أهم ما كان يستخرج من مناجم سيناء هو مادة تسمى « الملخيت »[1] كانوا يطحنونها ثم يعمدون الى

---

(١) لا يوجد النحاس في مصر معدناً منفصلا في الطبيعة ولكنه موجود في مركباته ومع ذلك فقد عرفه واستعمله قدماء المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانوا أول من اكتشفه في العالم ، وأهم خامات النحاس المعروفة في مصر هي « الملخيت » واسمه باللغة المصرية القديمة « شمت » وهو مكون من كربونات النحاس القاعدية ولونه أخضر وهو يكثر في شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية، ويعد أقدم وأهم خامات النحاس التى استعملها قدماء المصريين . وقد استعملوه كذلك في أغراض شتى كتكحيل العيون والتلوين باللون الاخضر وكذلك في عمل الطبقة الزجاجية فوق القاشاني وفي عمل الخرز .

تسخين المسحوق الناتج الى درجـة حرارة عالية فيحصلون منها على معدن النحاس . وهـذا المعدن كان من أهم موارد الدولة في ذلك الحين . بل اتخذه ملوك هذه الأسرة مقوماً ماليّـا في التعامل .

وقد زاملت هذه البعثات بعثات أخرى لاستغلال المحاجر فقد ورد في النصوص ان هذا الملك بعث موظفيه الى وادي الحمامات لجلب حجر البرشيا وهو أحد الاحجار الجميلة التي كانت تستخرج من الجهة الواقعـة بين النيل والبحر الأحمر ليصنع منهـا الملوك تماثيلهم وتوابيتهم

وأقام هذا الملك حصناً أطلق عليه « جدار الملك » في وادي طميلات لا لحماية حدود الدلتا فحسب، بل لمراقبة القوافل الاسيوية الرحالة مما يدل على يقظة هـذا الملك وحذره من أولئـك الاسيويين . وقد دلتنا النصوص على ان اليقظة كانت شديدة والحراسة دقيقة في هذا الحصن .

ثم شيد الملك امنمحات الأول في طيبة مسقط رأسه معبداً عظيماً للاله آمون . كما بنى كما ذكرنا على شكل هرم مقبرة له بالقرب من الفيوم . ولما كان الملوك قد جروا على اقامة بلدة بجوار كل هرم يسكن فيها من ساهموا في بناء هذه الدار الخالدة من مهندسين وصناع وعمال ومراقبي العمل والنظام من رجال الجيش وكهنة وغيرهم فقد أقام هذا الملك بجوار هرمه بلدة كانت تسمى « كانفرو » .

أما سياسته الخارجية فقد قلنا فيما سبق إنه وقت أن ولي الحـكم الملك امنمحات الأول تطلع الاسيويون في الشمال الشرقي الى مصر والنوبيون في جنوبها الى تهديد الحدود المصرية وإنه بادر الى ردهم على أعقابهم .

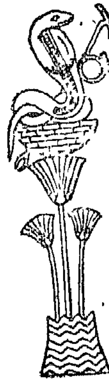
وقد حدث بعد أربعة وعشرين سنة من توليه الحـكم أن قامت اضطرابات جديدة على الحدود الشمالية الشرقية من قبَـل الاسيويين فأرسل الملك حملة عسكرية قوية بقيادة قائده « نسومنتو » أخضعهم بها إخضاعاً لم يقم لهم بعدها قائمة لحين وفاته .

ثم بدأ اضطراب في العام التاسع والعشرين من حكمه على الحدود الجنوبية فأرسل ولي

عهده الشاب « سنوسرت » على رأس الحملة لإخضاع النوبيين فأفلح في غزو منطقة الواوات بالنوبة . ولعلّ تلك الحملة لم يكن غرضُها مجرد إخضاع النوبيين ، بل قصد بها أيضاً إلى الإستيلاء على ما اشتهرت به بلاد النوبة من الذهب والعاج وريش النعام والجلود . وهو ما تحقق على يد وليّ العهد رئيس الحملة.

وتروي لنا قصة « سنوهي » عن حملة ثالثة بعث فيها الملك بولي عهده سنوسرت على رأس جيش لمعاقبة الليبيين المتمردين على حدود مصر الشمالية الغربية . فعاد ولي العهد بعدد كبير من الأسرى ورؤوس لا تحصى من الماشية . ومع أن القصة لم يرد فيها تاريخ معين لهذه الحملة فإننا نستطيع أن نستنتج أنها تأتي في المرتبة الزمنية بعد الحملتين الأوليتين بما جاء في تلك القصة من أن ولي العهد اضطر في جنح الظلام الى العودة الى العاصمة تاركاً رآسة الحملة الى أحد قواده بمجرد أن بلغه خبر وفاة والده الملك .

وانتهى حكم هذا الملك بعد ثلاثين عاماً من توليه العرش . ونستطيع أن نقول إنه قد أصابه توفيق كبير في كلتا سياستيه الداخلية والخارجية، فبينما أفلحت وسائله في تركيز النفوذ في يد صاحب العرش بما كفل معه الاتجاه بجهوده الى تحقيق الاصلاحات الداخلية نرى أن حملاته العسكرية الثلاث قد أوتيت نجاحاً . فلا عجب أن يكون هـذا التوفيق المزدوج سبباً في أن : « يعم الأسى رعاياه عند وفاته » كما حدثتنا قصة سنوهي .



—٥—

حـ — الملك أحمس الأول

لا يعدّ هـذا الملك من قديم الزمان أول ملوك الاسرة المصطلح عليهـا بأنها الأسرة الثامنة عشرة فحسب ، بل يعتبر أيضاً على رأس عهد تاريخي نسميه الآن عهد وحدة مصر الثالثة (الدولة الحديثة)

وقد حكم أحمس الاول حوالي ٢٢ سنة أي من حوالي سنة ١٥٨٠ الى سنة ١٥٥٨ ق.م وهو ابن الملك الملقب بسقنن رع الثالث والملكة اياح حتب . ويغلب على الظن انه أخ الملك كاموزا ، ولو ان هذه المسألة لا تزال موضع خلاف . وقد تزوج الملك أحمس الأول بالملكة اعحمس نفرتاري

﴿ أهم أعمال هذا الملك ﴾ : كان هذا الملك من أعظم الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر لا لأنه أخرج الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد ، بل لأنه وضع أساس سياسة داخلية جديدة للبلاد بل وسياسة خارجية سار عليها من جاء بعده من الملوك. وقد عادت هذه السياسة على مصر بفوائد جمة لمـا أدخله من الانظمة الادارية لقيام حكومة مركزية قوية في هـذا الحين ضماناً لاصلاح ما أفسده الهيكسوس ولاصلاح أحوال البلاد الاقتصـادية وتوطيد سلطة العرش والقضاء على كل سلطة محلية معارضة .

فنرى الملك أحمس الأول هو القائد الأعلى للجيش وهو في نفس الوقت رئيس للحكومة يتدخل في كل كبيرة وصغيرة وذلك طبيعي في مثل هذه الأوقات التي تعقب جلاء المحتلين .

وكان على الملك غير إشرافه على وزرائه أن يراقب موظفي المالية . وكان النظام المالي في ذلك الحين يقضي بفرض الضرائب السنوية على الأراضي والبهائم والأملاك الأخرى ما عدا المعابد والأملاك الخاصة بالآلهة، وعلى الأخص المملوكة للإلـه آمون فهي معفاة من الضرائب .

وقد قسم الملك احمس الأول المملكة المصرية الى أقسام إدارية وجعل على رأس كل قسم موظفاً يلقب « بحاتي عا » بشرط ألا يتصرف هذا الموظف في أي أمر إلا بعد عرضه على الملك.

فكان هذا الحاكم أو الأمير في مركز مماثل لمدير المديرية في الوقت الحاضر .

وأما القرى الصغيرة فكان يهيمن عليها أحد الكتبة تحت إشراف رئيس . وأهمية وظيفة الكاتب معروفة في مصالح الحكومة حتى اليوم .

ولقد امتدت مظاهر الرخاء المالي الى الناحية البنائية ، ففي عهد هذا الملك فتحت المحاجر من جديد واستخرج الحجر الجيري الابيض الجميل من محاجر طره (أي بالقرب من المعصرة) واستعملت تلك الأحجار في بناء المعابد لآمون وبتاح وغيرهما .

وقد أصاب التلف والبلى أغلب آثار هذا الملك فنجد بقايا معبد له قرب أبيدوس . ويرجح أنه بني على شكل مدرج مثل معبد الملك منتوحتب الثاني من قبل ، والملكة حتشبسوت من بعد . ولم يقتصر النشاط الحربي لهذا الملك على مطاردة الهيكسوس ومتابعتهم الى فلسطين وتوحيد مصر بل يتعدى ذلك الى اتمام وحدة وادي النيل تحت عرشه وإخضاع السودان تحت لوائه .

وقد ترك لنا بعض كبار الموظفين تراجم حياتهم وما قاموا به من أعمال توضح لنا تاريخ عصر هذا الملك في السودان ، فهذا نص القائد البحري احمس بن ابانا يحدثنا أن قلب جلالة الملك كان مفعماً بالسرور بعد ان أخضع الثوار في السودان ثم أبحر الى مصر بعد انتصاره .

وكان الملك يقابل إخلاص موظفيه وقواده بمنحهم الاراضي والعبيد ، فقد وهب أحمس ابن ابانا القائد السابق الذكر جزءاً يقدر بخمس أرورات من الاراضي الزراعية (والارورة عبارة عن مائة ياردة مربعة) . وهذا مثل يدل على السلطة المطلقة للملوك في إعطاء الاراضي لمن يريدون . وهناك مثل آخر ولو انه وصل الينا من عصر متأخر أي من عصر رمسيس الثاني ولكن بعض عبارات هذا النص ترجع الى عهد هذا الملك . وهذا النص عبارة عن قضية معروفة بقضية Mes وتفيد أن أحد أجداد Mes كان معاصراً للملك أحمس فوهبه بعض الاراضي .

ولما قام به هذا الملك من جليل الاعمال لوحدة مصر ولوحدة وادي النيل نعلم تمام العلم انه أُلِّه هو وزوجته بعد وفاتهما في العصور اللاحقة .

د — الملك رمسيس الثاني

رمسيس الثـاني هو ابن سيتي الأول من زوجته Tuya وهو يعـدّ من أعظم ملوك الفراعنة ذيوع اسم وأوسعهـا شهرة . وقد استمر حوالي سبعة من الفراعنـة يسمون أنفسهم باسمه

وقد حكم الملك رمسيس الثـاني حوالي ٦٧ سنة أي من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد .

ويعتبر عصره من أزهى عصور الامبراطورية المصرية كما ان له مثل هذا الاعتبـار من جهة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر .

وقد بدأ رمسيس الثاني اصلاحاته الداخلية باستغلال مناجم الذهب في النوبة التي عني والده سيتي من قبل عناية كبرى باستغلال هذه المناجم .

وتذكر لنا النصوص ان حاكم السودان العام في عهد الملك رمسيس الثاني نجح في اصلاح الطريق الموصلة بمناجم الذهب وحفر الآبار ونصب لذلك حجراً أثريـاً في وادي العـلاقي عند كوبان .

وقد اتسعت الامبراطورية المصرية في عهد رمسيس الثاني فلم تعد طيبة المدينة الفرعونية العظيمة تصلح لأن تكون عاصمة لتلك الامبراطورية فاختار الملك رمسيس مكاناً بين أنحاء الامبراطورية التي تشمل سوريا شمالاً وبلاد السودان جنوباً فوقع اختياره على بلدة تانيس المجاورة للحدود الأسيوية وسماها « بر رمسيس »

وقد وصل الينا وصف هذه المدينة الجديدة في الاشعار المصرية القديمـة وبانتقـال العاصمة الى تانيس أصبـح للدلتا مركز ممتاز فعظم شأنها .

ويعتبر عصر الملك رمسيس الثاني من أزهى عصور مصر من جهة فن العمارة والحفر فأضخم المعابد تنسب اليه ، وكذلك أضخم التماثيل والمسلات . وقد جدد معبد والده في

أبيدوس ، وأنشأ المعابد في تانيس ومنف والنوبة ، كما بنى الرمسيوم بطيبة ، وأضاف الى معبد الأقصر حوشاً كبيراً وصرحاً شامخاً . أما القاعة الكبرى ذات العمد بالكرنك التي بدأ سيتي بتشييدها فقد أتمها رمسيس الثاني وهي تعتبر من أعظم عمارات العالم القديم والحديث .

وأقام في السودان أكثر من ستة معابد وشيد في أبي سنبل أجمل معابد النوبة .

وقد عقد هذا الملك معاهدة دولية مع ملك الحثيين وهي تعتبر من أقدم المعاهدات الدولية (١)

وقد ذكرنا عند الكلام على الملك نب-حبت-رع أن في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني كانت تحمل الكهنة تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل رمسيس الثاني أمثال الملك مينا ونب - حبت - رع وأحمس الأول .

وهذا يرينا أن حفلة تتويج هذا الملك العظيم كانت ذات أهمية تاريخية لاحتفالها أيضاً بذكرى أعلام وحدة وادي النيل الى جانب الاحتفال بتتويج الملك .

(١) أول فرعون أقام سياسة المعاهدات والتحالف هو الملك تحتمس الرابع ابن الملك امنحتب الثالث فقد عقد معاهدة صداقة مع بلاد الميتاني ضد دولة الحثيين .

الحروب بين ملوك الشمال

وملوك الجنوب

قبل عصر وحدة مصر الثانية

وصلت الينا أخبار الحروب الداخلية ، التي قامت بين ملوك اهناسيا في الشمال [١] وملوك طيبة في الجنوب [٢] من الطرفين المتحاربين بصورة تجردت نصوصها من معرفة السبب الحقيقي الذي من أجله نشبت تلك الحروب

فيمكن أن يكون سببها (ا) خلاف بين الفريقين المتحاربين على منطقة واقعة في حدود طينة (بلدة ازوريس) ادعاها ملوك الشمال لانفسهم وكانت في يد ملوك الجنوب (ب) وقد يكون السبب نزاع على الاختصاص الاداري بين موظفي الحدود كالحراس أو موظفي الضرائب في كل من المملكتين الشمالية والجنوبية (ح) وقد يكون شعور أمراء الجنوب بالحاجة إلى توسيع حدودهم وشعورهم بقوتهم وبضعف الفريق الآخر (ى) وقد يكون تطلع أمراء الجنوب الى الرغبة في توحيد مصر مدفوعين الى ذلك بعامل القومية كما فعل الملك مينا من قبل والملك أحمس الأول فيما بعد .

واني شخصيًّا أرجح السبب الأول مع السبب الرابع وذلك لأن الملك خيتي الثالث (واح كارع) وهو من ملوك الشمال اعترف في وصيته لابنه خيتي الرابع (مري كارع) بأنه ندم على تعديه على طينة وقداستها مما اضطر ملك الجنوب الى الدفاع عن حدود منطقته الشمالية ردًّا للاهانة وسعياً وراء توحيد القطر المصري كله

والذي نعلمه عن هذه الحروب هو ان أول ملك من ملوك طيبة ذكر التاريخ أنه حارب

---

(١) وكان سلطان فراعنة اهناسيا يمتد من الدلتا وينتهي عند طينة أو بلدة العرابة المدفونة ومقر عاصمتهم بلدة اهناسيا المدينة .

(٢) اما نفوذ فراعنة طيبة فكان يمتد من اسوان جنوباً وينتهي عند طينة شمالاً .

البيت الاهناسي هو الملك أنتف الثـاني (واح عنخ) وذلك لأنه من الثابت ان المنطقة التي كان يحكمها هذا الملك تبدأ من الفنتين جنوباً وتنتهي في طينة شمالاً أي في القسم الاداري المصري القديم رقم ٨

***

وقد عرفنا من لوحة حجرية وجدت في الجورنه مؤرخة من عصر الملك (واح عنخ) وموجودة الآن في المتحف المصري وهي للسمير الأوحد چاري وفيها يذكر : « . . . بعد الحروب التي نشبت مع ملوك البيت الخيتي في المنطقة الغربيـة من طينة » ففي استطاعتنا أن نجزم من هذا النص بأن ميـدان الحرب بدأ في أقصى المنطقة الشماليـة التي كانت تحت حكم الملك انتف (واح عنخ) أي في بلدة طينة الواقعة في قسم ابيدوس

والظاهر أن نتيجة هذه الحرب كانت في مصلحة ملك طيبة لأننا نعلم فيما بعد ان حدود هذا الملك الشمالية وصلت الى منطقة أعلى من طينة وهي منطقة قسم الثعبان أي أنها وصلت إلى القسم العاشر الاداري من أقسام مصر الادارية

***

وقد حافظ هذا الملك على هـذه الحدود إلى السـنة الخمسين من حكمه لأن بالمتحف المصري لوحة مؤرخة في السنة الخمسين من حكمه يسجل فيها : « ... ان حده الشمالي وصل الى قسم الثعبان » أي ان هذه المنطقة قد اعتبرت حدًّا شماليًّـا . وعليه فالنتيجة النهائية هي انه في السنة الخمسين من حكم (واح عنخ) لم يتم الاسـتيلاء على اقليم ابيدوس فحسب، بل وصل الى القسم العاشر

ولـكن حكم ملوك طيبة على هذا القسم العاشر الذي انتصر عليه (واح عنخ) لم يستقر ولم يكن نصيبه الهدوء والسكينة ، بل ثارت بعض الاجزاء على من حكموا بعده كما ذكرت لنا لوحة حجرية لموظف يدعى « ايكا أورانتف » فنجد حاكم أسيوط المدعو « تف ايبي » والذي كان يعاصر ويشايع الملك الاهناسي خيتي الثالث (واح كارع) يجلي جيش طيبـة في موقعة بحرية على القسم العاشر باسم ملك الشمال ويضطره للرجوع جنوباً إلى حـدود الطرفين القديمة أي إلى طينة .

ثم أرجع الملك منتوحتب الأول قبيل وفاته حدود مملكته كسابق عهدها الى قسم الثعبان أي القسم العاشر .

ونعلم ان ابن « تف ايبي » المدعو خيتي والذي كان معاصراً لملك الشمال خيتي الرابع (مري كارع) قد حارب مع ملوك الشمال في القسم الحادي عشر ضد ملك الجنوب .

وبعد ذلك نجح ملوك طيبة في امتداد سلطانهم إلى شمال المنطقة الشمالية السابقة فاستولوا على أسيوط نفسها وهي في القسم الثالث عشر ، وبذلك ينتهي تاريخ أمراء أسيوط فعلاً أيام خيتي بن (تف ايبي) . وتكون منطقة القسم الثالث عشر هي أعلى ما بلغ اليه ملوك طيبة .

ونعلم بعد ذلك من نصوص حاتنوب الواقعة شمالي أسيوط أي في القسم الخامس عشر أن حروباً قامت في هذه الجهة أدت الى استيلاء ملوك طيبة على هذه المنطقة .

***

وأخيراً استطاع ملك طيبة المدعو « نب ــ حبت ــ رع » (منتو حتب الثاني) بعد ذلك من توحيد المملكة المصرية فابتدأ بذلك حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد عصراً جديداً ممتازاً في تاريخ مصر القديمة وهو المعروف بعصر وحدة مصر الثانية (عصر الدولة الوسطى)

وقد استمر توحيد المملكة المصرية في عهد خلفه « سعنخ كارع » (منتو حتب الثالث) ونب ــ تاوي ــ رع (منتو حتب الرابع) وباقي ملوك عصر التوحيد الثاني .

وبهذه المناسبة نقول إن عدد ملوك بيت طيبة (المعروفين بملوك الأسرة ١١) وترتيبهم كالآتي على حسب أحدث الآراء :

(١) انتف الأول (سهرتاوي) (٢) انتف الثاني (واح عنخ) (٣) انتف الثالث (نخت ــ نب ــ تب ــ نفر) (٤) منتو حتب الأول (سعنخ ايب تاوي) (٥) منتو حتب الثاني (نب ــ حبت ــ رع ويقرأ خطأ نب ــ خرو ــ رع) (٦) منتوحتب الثالث (سعنخ كارع) (٧) منتو حتب الرابع (نب ــ تاوي ــ رع) .

ويلاحظ ان بعض هؤلاء الملوك كان معاصراً لملوك البيت الاهناسي كما شرحنا .

الهيكسوس

أصلهم وموطنهم الأول

اختلفت آراء المؤرخين في تحقيق أصل الهيكسوس وموطنهم وهم الذين غزوا مصر حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد .

فبعض المؤرخين يؤكد أنهم الفريق الذي هاجر الى مصر من سلالة آرية[١] كان موطنها بلاد ما بين النهرين [٢] في وسط آسيا، ثم هاجروا الى غربها حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

والبعض الآخر يقول إن أصلهم من أعراب شبه جزيرة العرب [٣] غير ان الأبحاث الحديثة قد أسفرت عن أنهم من أصل سامي [٤] وموطنهم فلسطين [٥] وانهم من طائفة اليهود الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن الكريم

وقد رجحتُ الرأي الأخير في ملخص رسالتي للدكتوراه[٥] مستنداً في ذلك الى عوامل متعددة: منها ما أورده المؤرخ المصري القديم مانيتون من أن الهيكسوس «قوم شرقيون أتوا الى مصر من الشرق وانهم من بني اسرائيل بعد أن فند ما زعمه البعض من أنهم عرب»[٦]

ثم إننا نستخرج من مجرد تسمية المصريين للهيكسوس ما يؤيد الرأي المتقدم . فقد لقب الهيكسوس بألقاب متعددة في النصوص المصرية القديمة . أطلق عليهم اسم «حقاخاسوت» أي حكام قبائل فلسطين (حرفيّـا الأراضي الجبلية) . وسموا « عامو » أي الاسيويين وعلى

---

(١) N. D. Mironov, Aryan Vestiges in the Near East, Acta Orientalia 11 (1933) p.150 50 ff.; Junkea, Gesehichte der Aegypter, 1933 p. 105

(٢) E. Biogelmann, Noch einmal : Die Hyksosfrage, Z. D. M. G. Bd. 90 (1963).

(٣) King, Studies in Eastern History.

(٤) R. Dussaud, Revue de l'Histoire des Religions 1934 p. 113 ff. Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegyptne, 1934 p. 8 ff.

(٥) Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff.

(٦) Waddell, Manetho, in Loeb classical Library, 1940 p 77 ff.

الأخص الساميين . وكذلك أطلق عليهم « منتيومنت » وهو اسم القبائل التي كانت تسكن الصحراء في شمال شرق مصر جنوب فلسطين . وأخيراً سموا باسم « شاسو » الذي كان يطلق على سكان شمال شرق مصر ويقصد به قبائل جنوب فلسطين أعني الجزء الذي به قبائل جنوب فلسطين والذي به قبائل سامية .

فجميع هذه الأسماء المختلفة التي أطلقها قدماء المصريين على الهيكسوس تدل دلالة واضحة على أنهم من أصل سامي وان لهم علاقة بفلسطين وهي الجهة التي كان يقطنها اليهود .

ومن الأشياء التي تساعدنا على تأييد التعليل السابق أن أغلب الأسماء التي جمعت عن ملوك الهيكسوس وأفرادهم في عهد وجودهم بمصر وهي التي لم يعرف أنها أسماء مصرية ، ترجع الى أصل سامي كنعاني . فعلى سبيل المثال نرى ضمن أسماء الملوك « يعقوب إل » « وعنات إل » وكلاها اسم سامي كنعاني كما هو ظاهر . ومن أسماء الأفراد « عابد » و « نحمن » وهي أيضاً سامية كنعانية . فهذا يدل على أنهم كانوا من أصل يمتّ بصلة كبيرة الى العبرانيين .

غير ان بعض المؤرخين (١) يشير الى أسماء بعض ملوك الهيكسوس التي لم يثبت للآن أنها سامية مثل سلاتيس وبنون وأباخنان . ولكننا لا نرى في ذلك شيئاً من الغرابة إذا لاحظنا أن مثل هذه الافارات تتكوّن في غالب الأحايين من عناصر مختلفة . مع ملاحظة ان هذه الأسماء وردت إلينا عن طريق المؤرخ مانيتون باللغة اليونانية فقط . وقد نقلها بالطبع عن اللغة المصرية القديمة ويحتمل جدًّا ان يكون قد أصابها التحريف فلا يمكن اذن الجزم بأنها ليست أسماء سامية .

وقد ظهرت في مصر على أثر غزوة الهيكسوس أسماء آلهة سامية كانت تعبد أصلاً في فلسطين وتلك الآلهة هي « عنات » و « بعل » . فلو لم يكن الهيكسوس ساميين لما نقلوا معهم آلهتهم السامية الى مصر .

* * *

ومن المسلّم به أن الهيكسوس هم أول من أدخلوا استخدام الجواد والعربة الى مصر

(١) Junker, Die Aegypter p. 105

ونحن اذا تتبعنا تسمية المصريين للجواد وللعربة وجدنا انها أسماء سامية كنعانية . فالجواد كان يسمى « مسمت » وهي كلمة كنعانية سامية . وأطلق على العربة « مركبات » وهي كلمة أيضاً سامية كنعانية . ولا يجوز عقلاً ان نفرض استعمال الهيكسوس لغير لغتهم الاصلية في تسمية هذه الأشياء ما لم يقم الدليل على ضدّ هذا .

وقد أظهرت لنا الحفائر الأخيرة في فلسطين [1] عدة مقابر ترجع الى عصر الهيكسوس ومؤرخة بأسماء ملوكهم فهـذا دليل مادي على وجود صلة ما بين اليهود في فلسطين وما بين الهيكسوس في مصر .

كذلك معروف أن العبرانيين كانوا يعبـدون الحمار فاذا توصلنا الى التحقق من عبـادة الهيكسوس له استطعنا أن نقيم الدليل على أنهم من أصل سامي .

وفي سبيل ذلك نقول أنه وجدت في المقابر السالفة الذكر أربعة حمير مدفونة في مستوى أعلى من مستوى الأشخاص أنفسهم .

وفي هذا وحده دليل على عبادة هذا الحيوان . إذ لو كان دفنها في المقابر بقصد القربان لوجدت في مستوى الأشخاص أو تحتهم . وليس فوق هذا المستوى كما قد لوحظ فعلاً من وجود جياد مدفونة كقرابين في مستوى أقل .

وما دمنا قد ذكرنا أن هـذه المقابر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس فإننا نستنتج من ذلك أن عبادة الحمار كانت سائدة بين الهيكسوس يؤيد ذلك أيضاً أن أحد ملوك الهيكسوس كان يسمى « عاقن » أي « الحمار القوي » [2] ومعروف ما جرى عليـه الملوك من إدخال أسماء الآلهة في ألقابهم وقد أقر الأستاذ Bissing في مقاله :

"Das angebliche Weltreich der Hyksos" in Archivder Orient. For-chung. Juni 1937 p. 325 ff. هذه الأسانيد صراحة فيما عدا هذا الدليل إذ يعترض بقوله أنه عثر على حمير وجياد مدفونة في مقابر أبي صنبل وترجع الى القرن الرابع والسادس الميلادي . وعلى هذا فدفن الحمير في مقابر فلسطين لا يدل على معاصرتهـا لملوك الهيكسوس . غـير أنه فاته أن

---

(١) Petrie, Ancient Gaza, I, p. 3 ff.

(٢) Pahor Labib Die Herrschaft der Hyksos in Aeg., 1934 p. 25.

دليلنا قائم على ما هو ثابت من أن المقـابر السالفة الذكر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس وهو دليل مادي حاسم . يضاف الى هذا استنتاجنا في عبادة الهيكسوس للحمار قائم كذلك على طريقة دفنه وهذه الطريقة لم تتوافر اطلاقاً في مقابر أبي صنبل . هذا فضلاً عن ان العالم المذكور لم يعترض على الحلقات الأخرى التي تساندت في تأييد بعضها بعضاً .

يضاف الى ما تقدم أنه على أثر غزوة الهيكسوس لمصر اختار الغزاة أحد آلهة المصريين وهو «ست» وساووه بآلهتهم . وكان مظهر هذه المساواة أن جعلوا الاله «ست» في لغتهم مخصصاً لـكلمة حمار «عا» .

ثم هناك مسألة أخرى تؤيد ان الهيكسوس أصلهم سامي ومن فلسطين ، وذلك انه معروف أن القوم المسمون باسم «خبيرو» في خطابات تل العمارنة المحررة بالخط المسماري هم قوم ساميون استولوا على فلسطين ومنها وسعوا سلطانهم وانهم مقيمون في فلسطين الى عهد أخناتون .

دلت أبحاثنا على ان كلمة «خبيرو» ترادف الـكلمة المصرية القديمة «عپري» وهي عبري الحالية . وذلك لأن الخط المسماري لم يعرف حرف العين فـكتب «خ» بدل «ع» . أما ابدال الباء بـ «پ» فمعروف في اللغة المصرية القديمة ، فمثلاً كلمة كرباج تـكتب بالمصرية الفرعونيـة اسبر أو اسپر مع انهما استعملا معاً في عصر واحد في عهد وحدة مصر الثالثة (الدولة الحديثة) .

وأخيراً وجدت في إحدى مقابر بني حسن في أحد أركان الحجرة صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء وأطفال وفدت من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني . وأول ما يلاحظ على تلك الصورة هو ان ملامح هؤلاء الأشخاص ولباسهم وأوصافهم واضحة الدلالة على انهم من أصل سامي . كما ان تلك الصورة ذكرت نقوشها انها كانت برآسة «إبشا» الذي يحمل لقب «حقا خاسوت» وهذا اللقب هو الذي اختاره ملوك الهيكسوس فيما بعد لأنفسهم ، بل أكثر من ذلك فان هذا النعت قد أطلقه المصريون على قبائل هؤلاء الغزاة قبل غزوهم مصر وبعد طردهم منها .

فاذا كانت هذه القبيلة سامية الأصل فلسطينية الموطن وملقب رئيسها بلقب ملوك

الهيكسوس فذلك مما يبعث على الاطمئنان الى تأييد ما نقوله من أن الهيكسوس كانوا من ذلك الأصل ومن هذا الموطن .

والى جانب ما تقدم هناك عدة أسانيد أخرى أوردناها في ملخص رسالتنا للدكتوراة لا نرى محلاً لها في هذه المقالة . غير أننا نستطيع ان نضيف الى تلك الأسانيد حجة جديدة لم ترد في رسالتنا تؤيد وجهة النظر السالفة من حيث ان الهيكسوس ساميو الأصل وهي ان هناك أثراً من العاج على شكل أبي الهول يضرب بأظافره مصريًّا يمثل أحد ملوك الهيكسوس. وقد لاحظ العلاَّمة شارف في كتابه « Handbuch der Archaeologie » الذي ظهر في عام ١٩٣٩ « إن ملامح هذا الملك الهيكسوسي واضحة الدلالة على أنه سامي الأصل »

***

عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يشوب عصر الهيكسوس ظلام قال عنه الاستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : ان هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلا آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي لهؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم »

على أنه بالرغم من هذا الظلام فقد تحدثنا عن أصل الهيكسوس وموطنهم الاول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع أن نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم .

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما نقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انهُ في الوقت الذي كان يحكم فيه ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حات وعرت » (هوارس) عاصمة لهم ونرى أنها في الاصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية .

ويصح ان مانيتون عند ذكرهذا جاءت بفكره قصة أوزريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح ان يكون عضو من جسمه وهي القدم قد استقرت في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزوريس . ومن جهة أخرى نرى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل إلينا كذلك من اللغة القبطية (المصرية) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة .

وقد وصل الينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية ساليه الاولى مثلاً ، مكتوباً في صورة أخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً الى جانب القدم . فمن الجائز جداً ان المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها . إذ أن معنى هذا الرسم الجديد هومكان الهروب.

وذكر لنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصلحت التلف وأكملت الناقص بعد ما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت (هوارس) في الدلتا . فنستوثق من هذا النص ان عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا . ولا بدّ لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة . لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين عاش في ادفو يخبرنا فيها : « انه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت (هوارس) وجنوباً الى كوش » . وهذا النص يرينا أن الموظف سافر الى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس الى كوش الواقعة في أقصى الجنوب .

ولدينا رسم لاسم المدينة يدل على انها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل .

بعد ذلك لدينا رسم آخر لاسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة أخرى تدعى « حات وعرت امنتت » أي حات وعرت الغربية » نعلم أنّ الاولى (عاصمة الهيكسوس) لا بدّ أن تكون في الجهة الشرقية . فهي إذن تقع في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر .

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس . غير انّ

Gardiner [1] توصل الى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها معتمداً على عوامل متعددة . والعوامل التي بلغت به اليها يمكن تلخيصها فيما يلي : —

(أولا) المكتشفات التي قام بها الأثري [2] Montet في بلدة تانس

(ثانياً) ثم تحليل Sethe [3] للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعمائة من تجديد عبادة الإله ست .

وعلى ذكر ما تقدم نقول إنه الى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو أن عبادة الإله « ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلا أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت الى هذه الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نفر » الذي أثبته الأستاذ يونكن في مقالة عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الإله ست قائد المحاربين الذي في بلدته سزرت » والذي علق عليه بقوله « سزرت هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فاذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة فمعنى هذا أن عبادة الإله ست ترجع الى الدولة القديمة أي إلى ما قبل دخول الهيكسوس في تلك الجهة وهذا يفسر لنا لماذا كان جد ملوك الرعامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد الاله ست إله تلك الجهة .

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية .

(رابعاً) مقارنة تبين أن الآلهة التي عبدت في « بر — رعمسيس » عاصمة الرعامسة هي بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هوارس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس هذه الآلهة الاله « ست »



وقد أسفرت هذه البحوث عن أن عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما بعد الرعامسة عاصمة لملكهم وسموها « بر — رعمسيس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس

(١) A. Gardiner, Tanis and Pi Ramesse, A Retractation, Jour. Eg. Arch XIX p. 122 ff.

(٢) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Montet, Les Dieux de Ramses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.

(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

«حات-وعرت « هوارس » ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانس » ثم أطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » الـكائنة في شمال الدلتا الشرقي [1] حيث وجدت أخيراً آثار الملك شيشنق . ونحن نلاحظ أن مدينة هوارس (حات-وعرت) التي اتخذها الهيكسوس عاصمة لهم لم تنشأ من العـدم وانما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل . وكانت الحكمة من جعلهـا قريبة من الحدود الشرقية للدلتا،هي أن تكون قريبة من بلادهم الأصلية ليسهل عليهم العودة الى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة،أي بعبارة أخرى لأسباب جغرافية سياسية .

مدة حكم الهيكسوس

اختلف العلماء القدماء منهم والحديثون في تقدير مدة حكم الهيكسوس في مصر .

فيحدثنا مانيتون عن طريق افريكانوس ان مدة حكمهم في مصرهي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسيفوس ان مدة حكمهم في مصر لا تبلغ إلاّ ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المطول الذين يتبعون توقيت مانيتون مثل Petrie يقدرون حكم الهيكسوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن .

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون اصحاب التوقيت المختصر مثل Breasted و Meyer يخالفون الرأي السابق ويعتقدون ان هذه المدة هي مائة سنة فقط.أما Dubois Richard [2] فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً انها مائتا سنة .

أما نحن فنرى أن مدة حكم الهيكسوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سـنة ١٧٣٠ ق . م الى سـنة ١٥٨٠ ق . م [3] وقد توصلنا إلى هـذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفـكرة التوقيت المطول لأنهـا تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ المقارن والتاريخ الفلـكي وعلى هذا الأساس فان المدة التي وصلتنا عن طريق مانيتون وعن

---

(١) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, p. 20 ff.

(٢) Dubois—Richard, Essai sur les Gouvernments de l'Égypte, Le Caire 1941, b. 50

(٣) Pahor Labib, opp. cit p. 22

أصحاب التوقيت المطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتعدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق . م الى ١٥٨٠ ق . م) .

وأما نظرية بريستد وماير في أن مدة حكم الهيكسوس هي مائة سنة فقط فخطأ . ذلك لأن بردية الملوك بمتحف تورين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ستة ملوك من الهيكسوس هو مائة وثماني سنوات [1] وهؤلاء الستة هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي ان مدة حكم أول أسرة هيكسوسية بلغ مائة وثماني سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكسوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء ، ولذلك لا يمكننا الاخذ بهذه النظرية . وكذلك نرى أن قول Dubois Richard مبالغ فيه أيضاً ، ذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكسوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيداً لذكرى والده سيتي ولجده الأكبر المدعو أيضاً سيتي وتجديداً لعبادة الإله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمه Nubtj وأوردت له إسماً ثانياً وهو « ست » القوي وأرّخت هذه اللوحة بيوم ٤ مسرى من السنة الأربعمائة من حكم « نوبتي » ست القوي ونعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الاله « ست » وهو مشتق من المدينة التي عبد فيها هذا الإله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ إقامة هذه اللوحة . و (ثانياً) تتحدث لوحة الأربعمائة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الأول . وتتحدث كذلك عن أحد أجداد رمسيس الثاني وهو جده الأكبر المدعو سيتي أيضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الأقواس » تحت حكم الملك حور محب أي حوالي سنة ١٣٣٠ ق . م ومعنى ذلك أن كلاً من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمّى باسم الاله ست لأن معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الإله ست » لهذا نجد أنه ليس غريباً أن تتحدث

....

(1) Pahor Labib, op. Cit., p. 22

عن لوحة خاصة بتجديد (وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين) عبادة الإله ست في شرق الدلتا لأن عبادته وجدت قبل ذلك ولأننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في عصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرعامسة وعلى رأسهم الإله ست . وكذلك عرفنا أن عاصمة الهيكسوس « هوارس » هي نفس عاصمة الرعامسة « بر — رمسيس » وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية .

والآن بعد أن عرفنا أن الجد المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وانه معاصر للملك حور محب فلنضيف الاربعمائة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق. م. فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق. م. وهي سنة تجديد عبادة الآله ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الإله ست جددت في أول عهد الهيكسوس عند ما جدد بناء العاصمة تانيس (هوارس) .

والآن بعد أن عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق. م. وان أول حكم الأسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق. م. وهي سنة طرد الهيكسوس نهائيًّا من مصر نستطيع أن نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة .

مدى توغل الهيكسوس في مصر

يحدثنا المؤرخ مانيتون أن « الهيكسوس استولوا على مصر بسهولة وبغير حرب لأن أهل مصر كانوا في ثورة وهياج » وكلام مانيتون صحيح تؤيده مقارنة الآثار ، إذ أننا نرى أنه ابتداء من منتصف الأسرة الثالثة عشرة (أي حوالي سنة ١٧٥٧ ق . م) عمت الفوضى البلاد وبدأ الضعف يدب في صميم الدولة

فبردية Sallier I (وهي محفوظة في المتحف البريطاني وتاريخها يرجع الى عصر الملك منفتاح ومحتوياتها ترجع رغم ذلك الى عصر الهيكسوس) تورد الجملة الآتية : —

« حدث أنهُ كان في أرض مصر خطر أو وباء ولم يكن هناك سيدٌ ما ملكاً بينهم » .

فيتضح لنا من هذا النص التاريخي القديم إن مصر كانت في حالة فوضى وأن المصريين عجزوا عن إقامة ملك منهم مما سهّل فيما بعد على الهيكسوس الاستيلاء على مصر حوالي سنة ١٧٣٠ ق.م

وقد جاءت أحوال مصر السيئة مؤاتيــة للغزاة في وقت كان الضغط عليهم في بلادهم يزداد شدة ويدعو الى هجرتهم نتيجة لإغارات حلت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وكان مردّها الى حركة اندفاع الشعوب الهندية الاوروبية (الآرية) في آسيا وهجرتها ولاسيما وقد دخلوا مصر بخيلهم وعرباتهم وغير ذلك من الفنون الحربية التي يجهلها المصريون فتفوّق الهيكسوس من الوجهة الحربيــة سهّل لهم الاستيلاء على المدن والقرى فاستولى الغزاة على ممفيس برغم موقعها الحربي المنيع. ونعلم ذلك من نص مكتوب بالهيراطيقي على لوحة معروفة بلوحة كارنارفون

وعلى لوحة كارنارفون هذه نصّ آخر يؤيد بردية ساليبه السابقة الذكر وفيه أن « ملكاً من الجنوب من طيبــة يدعى كامس جمع قوّاده وخاطبهم قائلاً: « أريد أن أعرف ما هي قوّتي اذا كان هناك أميرٌ في بلدة حات وعرت (عاصمة الهيكسوس) وأميرٌ آخر في بلدة كوش وأنا جالس مع أسيوي ونوبي [1] كل واحـد منهما يملك نصيبه في أرض مصر ويشاركني الأرض أنا لم أعطهِ الفرصــة أن يصل حتى ممفيس ولكن أنظر الآن فقد تمّ استيلاؤه على الأشمونين » [2].

فمن هـذه النصوص نخرج بأن الهيكسوس توغلوا في الدلتا ثم استولوا على ممفيس ثم وصلوا الديار المصرية الى بلدة الأشمونين.

وفي ردّ القواد السابقي الذكر على الملك كامس، وهو ردٌّ نجده أيضاً على لوحة كارنارفون نجد أن هؤلاء القواد ردّوا على الملك قائلين: « ولو أن الهيكسوس وصلوا الى بلدة القوصية (الواقعة بالقرب من ديروط) وأخرجوا ألسنتهم دفعة واحدة سنكون في هدوء لأننا نملك مصرنا والآن (الفنتين) قوية والجزء الأوسط من مصر في حيازتنا حتى القوصية وعلاوة على ذلك

(١) دليل على أن السودان فصلت عن مصر

(٢) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos, p. 17 ff.

تحرث لنا أحسن أراضيهم ومراعينا ما زالت في الدلتا فالغلال ترسل الى خنازيرنا وكذلك لم يستولوا على مواشينا »

فمن هذا النص نرى أنه يمكننا تعيين الجهة التي وصل إليها الهيكسوس في مصر وهي جهة القوصية، بل يرينا هذا النص كذلك أن الهيكسوس في الدلتا لم ينزعوا ملكية الاراضي التي كان يملكها فيها أهل الصعيد . ومع ذلك فهناك طائفة من العلماء أمثال بتري وأدوارد ماير ويونكر تظن أن الهيكسوس توغلوا في الأراضي المصرية الى أبعد من ذلك. ويستندون في رأيهم هذا إلى قطعتين من الحجر وُجدتا في جبلين (بالاقصر) عليهما أسماء الملك خيان [1] والملك أبوفيس .

ولكننا لا نعد هذين الحجرين دليلاً كافياً على صحة ما تذهب اليه هذه الطائفة من العلماء وذلك لأننا نلاحظ أن الملوك الذين أتوا في العصور المتأخرة عن عصر الهيكسوس أخذوا آثار الهيكسوس ونقلوها من مكان الى آخر

فمثلاً : ان جاردنر وجد أناء من الجرانيت للملك عا أوسر رع أبوفيس في مقبرة الملك امنحتب الأول في طيبة .

إذن فلنمض في تأييد وجهة نظرنا ولنورد نصاً آخر يؤيد نص لوحة كارنارفون وهو نص الملكة حتشبسوت في معبد Speos Artemidious بالقرب من القوصية فقد جاء فيه ان الملكة أصلحت معبد حاتحور وجددته وقد كان في جهة القوصية وكذلك المعابد الأخرى التي هدمها الهيكسوس حتى بلدة القوصية . وهو يحملنا على الظن أن معبد بلدة القوصية هو آخر معبد وصل اليه تخريب الهيكسوس . والنص بالحرف يقول : « لقد أصلحت التلف وأكملت النقص بعد ما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة هوراس (حات وعرت) في الدلتا » . فهذان النصان يؤيدان أن الهيكسوس وصلوا فقط إلى بلدة القوصية .

---

(١) هو المعروف عادة بأنه أعظم ملوك الهيكسوس لأن معظم آثاره وجدت ليس في مصر فحسب بل في جزيرة كريت وفي فلسطين وبغداد ، فمن انتشار آثار الملك خيان بهذه الكيفية استنتج بعض العلماء ومن بينهم ماير وبريستد أن امبراطورية الهيكسوس كانت ضخمة ممتدة من الفرات إلى الشلال الاول . والبعض قال إن ملك خيان لم يشمل جميع هذه الارجاء وانما امتد نفوذه اليها ، والحق أن لا هذا ولا ذاك .

ثم أننا نجد تعزيزاً لهذا الرأي في ادارة الحكومة في الأسرة الثامنة عشرة أي بعد طرد الهيكسوس مباشرةً . فالمنطقة من بلدة الفنتين الى ما بعد أسيوط بقليل أي الى ما يقرب من القوصية كانت من اختصاص أحد الوزراء ، ثم من القوصية الى أعلى الدلتا كانت من اختصاص وزير آخر .

فالرأي ان المنطقة من الشمال الى القوصيـة هي المنطقة التي استولى عليها الهيكسوس لا سيما وإننا نعلم أنه كان بين المنطقتين حدود محصنة ترجع الى ما قبل عصر الهيكسوس فوقف عندها تقدمهم في أغلب الظن . ونجد هذا التقسيم يستمر الى ما بعد عصر الهيكسوس فقد استمر الى عصر الملك بعنخي مما يدلنا على ان هذا التقسيم كان مهمًّا وأن هذه الحصون يصعب اقتحامها .

ومن ظريف ما يروى في هذا الصدد أن اسم أسيوط بالمصرية القديمة معناه « الحارس » وهذا مما يؤيد وجهة نظرنا ويرينا كيف تمتزج السياسة بالدين .

وهناك سبب آخر يؤيد القول بأن الهيكسوس لم يستولوا على مصر بأجمعها ذلك أننا نعلم تمام العلم أن هناك ملوكاً وطنيين جعلوا مقرهم في طيبة وطردوا الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد .

ومن الطبيعي أن طيبة كان لها ملوكها المصريون طيلة عهد الهيكسوس فكان هناك في الواقع فريقان : فريق الشمال وهم الهيكسوس الذين حكموا حتى بلدة القوصية ، وفريق آخر مصري حكم من الفنتين الى القوصية ، وبذلك تكون غزوة الهيكسوس قد اقتصرت على الدلتا حتى بلدة القوصية .

مطاردة الهيكسوس في مصر

جازت هذه المرحلة أدواراً كثيرة أهمها :

ما وصل الينا من عهد الملك « سقنن رع » الملقب « قن » أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة . والدور الذي لعبه ذلك الملك في مطاردة الهيكسوس مذكور في بردية ساليبه بالمتحف البريطاني ، ثم ما ورد في لوحة معروفة بلوحة كارنارفون بالمتحف المصري ، وهي لوحة خشبية

كتب عليها بالهيراطيقية ملخص الحرب التي دارت بين الملك كامس والهيكسوس،ثم النص الذي يحدثنا فيه القـائد أحمس بن أبانا عما قام به الملك أحمس الأول في سبيل طرد الهيكسوس من مصر .

أما المصدر الأول فيذكر ان الملك « سقنن رع » كان ملـكاً على اقليم طيبة وكان يعاصره ملك من الهيكسوس يدعى « ابوفيس » . وقد جمع ابوفيس في أحد الأيام كبار قومه وتحدث معهم وربما كان الحديث حول تدبير مؤامرة لاغتيـال الملك « سقنن رع » وها هو ذا جزء من هذه النصوص تدلنا ترجمته على ما ذهبنا اليه : « ... انقضى زمن طويل بعد ذلك،فأرسل الملك ابوفيس الى الملك «سقنن رع » بالعاصمة الجنوبية (طيبة) رسالة ولما وصل رسل الملك أبوفيس الى طيبة أحضروا الى ملـكها — فسأل أحد رسل الملك أبوفيس هذا السؤال : لماذا جئت الى العاصمة الجنوبية ولأي سبب سافرت مع زملائك طوال هذه المدة ؟

فأجاب أن الملك ابوفيس أرسلنا اليكم لنخبركم بأن دب البحر الساكن في بحيرة طيبة يمنع جلالته من النوم نهاراً وليلاً وصياحه يزعج أذني الملك » . «حزن الملك سقنن رع وتألم ولم يرد الجواب. ثم عاد رسول الملك ابوفيس الى سيده ... » ومن سياق الـكلام نفسه نعلم انه على أثر ذهاب رسول ابوفيس الى سيده دعا سقنن رع قواده ورؤساء حكومته وأخبرهم برسالة الملك أبوفيس فسكتوا جميعاً ولم ينطقوا بكلمة واحدة (وهنا سقط الأصل) ولم تكمل القصة التي كانت تحوي كثيراً من المعلومات التاريخية .

فمن الجائز أن يكون رسل الملك أبوفيس عبارة عن أفراد عصابة أرسلها الملك لاغتيال حياة « سقنن رع » ولما خابوا في مهمتهم عادوا بعد أن اختلقوا الحيل ولفقوا الأسباب التي من أجلها أرسلهم ملـكهم . كذلك نعلم أن جثة هذا الملك « سقنن رع » وجدت في معبد الدير البحري وفيها آثار جروح نتيجة ضربات مميتة فهل معنى ذلك أن هناك مؤامرة دبرت لاغتيال هذا الملك العظيم ؟ أم أنه سقط صريعاً في ميدان القتال ثم أنقذ أحد أتباعه جثته من العدو ؟

أرجح شخصيـاً الرأي الثاني وذلك لأن آثار الجهاد واضحة في جثة هذا الملك وهذا ما يحملنا على الظن أنه ثار على الغزاة وأوقد الحمية في صدور شعبه،فقاموا قومة رجل واحد

ليطردوا الهيكسوس من مصر . ويؤيد ذلك أن خليفة هـذا الملك وهو إبنهُ كامس واصل الحرب ضد الهيكسوس .

أما المصدر الثاني وهو لوحة كارنافون فقد عرفنا تفاصيلها عند ما تكلمنا عما وقع تحت حكم الهيكسوس من المناطق المصرية .

والمصدر الثالث عبارة عن نص القائد البحري أحمس بن أبانا . إسمه أبانا نسبةً الى اسم أمه وقد كان ذلك شائعاً عند قدماء المصريين مما يبين لنا مركز المرأة قديماً . أما إسم والده فقد كان « بابا » وقد كان بابا والد القائد أحمس هذا معاصراً للملك سقنن رع .

وقد ظهر هذا القائد في المرحلة الأخيرة من مطاردة الهيكسوس وعاش في بلدة الـكاب. وقد بدأ حياته العملية أيام الملك أحمس الأول الذي عينه قائداً في إحدى السفن. والذي يهمنا في نص هذا القائد (١) من الوجهة التاريخية في موضوع مطاردة الهيكسوس هو ما يأتي :

« ... كنت اتبع الملك ماشياً عندما ركب عجلته وعند ما حاصر الملك بلدة حات وعرت (هوارس) وقد أظهرت شجاعة على قدمي ماشياً أمام جلالته وبعد ذلك رقاني (جلالته) الى السفينة المسماة «خع ام من نفر» ثم حارب الملك على مياه قناة پاجودكو الواقعة جهة حات وعرت (هوارس) ثم حاربت وأحضرت يداً وبُـلِّـغت هذه المسألة الى كاتب سر الملك فأنعم عليَّ بعد ذلك بذهب الشجاعة ، وحارب الملك بعد ذلك في أجزاء مصر الواقعة في جنوبي هذه البلدة » .

وقد اختلف العلماء فيما هو المقصود من البلدة التي حارب الملك جنوبيّـيها فبعضهم يقول إن المقصود بها « بلدة هوارس » المذكورة في النص ، والبعض الآخر يقول إنها بلدة الـكاب حيث مقبرة هذا الموظف الذي كتب لنا عن تاريخ حياته . وأرجح أنا شخصيـًّا الرأي الثاني لأنه ليس من المعقول أن تثور مصر كلها في هذا الوقت العصيب ضد الملك أحمس الأول . فالمقصود إذن هي مدينة الـكاب. ويستنتج من ذلك أيضاً استمرار إغارة النوبيين على مصر .

وقد جاء في نفس نصوص هـذه المقبرة ذكر تلك الإغارة التي كانت في عهد الملك الذي

(١) K. Sethe, Urkunden der 18. Dynastie

سبق أحمس وهو كامس .» وبعد ذلك استولى الملك على مدينـة حات وعرت (هوارس) وكنت قد أحضرت من هناك غنيمة رجل واحد وثلاث نسوة أي أربع رؤوس (أسرى) »

ثم يستمر النص فيقول : « وقد أعطاهم جلالتـه إياهم كعبيد » « ثم حاصر الملك بلدة شاروهن مدة ثلاث سنوات واستولى جلالته عليها »

فمن هذا النص نستنتج محاصرة الملك بلدة هوارس عاصمة الهيكسوس ثم استيلاءه عليها وبعد ذلك مطاردته الهيكسوس في عقر دارهم ومحاصرته بلدة شاروهين بعـد أن تعقبهم الملك إليها ثم استولى عليها بعد محاصرتها ثلاثة أعوام . وهذا مهم من الوجهة التاريخية إذ يبين لنا ان أحمس الأول طرد الهيكسوس من مصر بعد ان استولى على عاصمتهم ثم طاردهم إلى جنوب فلسطين .

وبذلك نختم الجزء التاريخي الذي يهمنا في مطاردة الهيكسوس من نص القـائد أحمس ابن أبانا .

وبحكم الملك أحمس الأول ينتهي حكم الهيكسوس ويعتلي ملوك طيبة ثانيـة عرش مصر ويبدأ تاريخ عصر هام تحقق فيه توحيد مصر من جديد وهو ما نسميه « بعصر الوحـدة الثالثة »و « المسمى بعصر الدولة الحديثة» طبقاً لما هو شائع . وذلك لأنه على يدي أحمس الأول تمت مطاردة الهيكسوس من البلاد المصرية وعلى يديه كذلك رجعت الى مصرالوحدة القوميـة لأن حرب مطاردة الهيكسوس لم تكن حرب استقلال فقط بل هي أيضاً فرصـة اغتنمها ملوك طيبة لـكي يسيطروا على القطر المصري بأجمعه . وقد تمّ لهم ذلك على يد عميدهم الملك أحمس الأول . وهنا نرى ظهور نفوذ طيبة السياسي للمرة الثانية بعـد أن ظهر أولاً في أيام الدولة الوسطى ولم يكن أبرز الأشياء في هـذا العهد انتصار فراعنة على آخرين وإنما كان مطاردتهم شعباً أجنبيّـا .

وبالرغم من الاضرار التي عادت على مصر من حكم الهيكسوس من تفكك في الادارة وتصدّع الوحدة إلاّ أن المصريين جنوا من عصر هؤلاء المغيرين الفوائد الآتية :

عنـد مطاردة الهيكسوس أخذت مصر تتطلع إلى البـلاد الأسيوية المجاورة لها ولا سيما فلسطين وسوريا وأصبحت جزءًا من مصر أي نظرت اليها كأجزاء لا يمكن الاستغناء عنها

وبذلك أصبحت مصر أمة غير منعزلة عن باقي العـالم وأصبح لها مقامٌ دوليٌّ هامٌّ حدد في مراسلات أو معاهدات دولية . كذلك كان لغزو الهيكسوس لمصر مزايا لا يمكن انـكارها ظهرت آثارها فيما بعد ظهوراً واضحاً بما أثمره من رخاء . فمثـلاً استفاد المصريون أشياء كثيرة أثرت في الصناعة المصرية ومنها صناعة العربات التي كانت سبباً في تعلم المصري هذه الصناعة وترقيتها وتشغيل الأيدي العاملة من المصريين والسودانيين فيها فيما بعد وما يتبع ذلك من عمل الجلود وغيره للعربة وللجيـاد وهنـاك كذلك صناعة أخرى هي صناعة الأسلحة ولا سيما الخناجر فبذلك زادت أعمال الشعب المصري في هاتين الصناعتين .

ومن مميزات غزو الهيكسوس لمصر إنشاء جيش نظامي دائم مجهز بالأسلحة ومزوّد لأول مرة في تاريخ مصر القديم بالجياد والعربات الحربية وذلك لأن الهيكسوس هم أول من أدخل الجواد والعربة في مصر ، وزيادة على ذلك استفاد المصريون أثناء وجود الهيكسوس في مصر استعمال الجواد والعربة في الحروب فتعلموا من الهيكسوس الفنون الحربية وطرق الـكفاح المختلفة فثاروا في وجه الغزاة كما تقدم ثورة موفقة وعلى ذلك كان حكم الهيكسوس في مصر من العوامل التي قوت في الشعب المصري لأول مرة في تاريخه روح الـكفاح .

طلب الحرية فنالها ثم عرف طعم الحرب وتذوّق معنى الانتصار فخرج من مصر يطلب الغزو والحرب فتولدت في الشعب المصري روح الاستعمار . ومن الطبيعي أن يتبع ذلك كثرة الوظائف الحربية والمدنية أي وجود أيادٍ عاملة في مصر وفي خارجها وقد استنتجنا ذلك من الألقاب التي كان أكثرها غير معروف قبل عصر الهيكسوس

وكان المصريون يفخرون بوظائفهم الحربيـة وقد أشارت الى ذلك نقوشهم وازداد تشجيع الملوك للقواد الحربيين فأعطوا الأراضي ومنحوا النياشين بل فرض أغلب ملوك عصر الوحدة الثالثة على أولياء عهودهم دراسة الفنون الحربية في مدرسة أو كلية أنشئت خصيصاً لذلك في منف [1] بل أكثر من ذلك فقـد فرض على أوليـاء العهود أن يتولوا إدارة مصنع بناء السفن والأسطول (دار الصنعة) الذي أنشىء في هذا العصر على مقربة

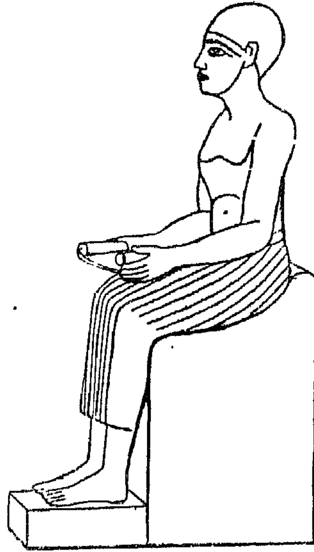
(1) Helck, Der Einfluss der Militärführer

من منف . ونذكر هنا أن ولي العهد امنحتب بن الملك تحتمس الثالث وهو الذي عرف فيما بعد باسم الملك امنحتب الثاني كان يشرف على ادارة مصنع بناء السفن والأسطول[1]. وكذلك كان من نتيجة غزو الهيكسوس مصر تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف تدفقت الخيرات منها على مصر كما تدفقت الأموال على بيت فرعون فعمّ الرخاء وازدادت موارد مصر كثيراً مما أدى الى تقدم المدنية المصرية .

وكان من الفوائد والمميزات الكثيرة التي عادت على مصر بالخير أيضاً بعد غزوة الهيكسوس ظهور شبه انقلاب في السياسة وفي الحالة الاجتماعية حتى أدمجت في اللغة المصرية نفسها كلمات كنعانية كثيرة .

---

(١) Glanville, Aeg. Zeitschrift, 66.



الوزير امحوتب اله الطب

الملك ايخ – إن – آتون[1]

الملك إيخ – إن – آتون ، أو كما يسميه كثير من كتّاب التاريخ المصري القديم ، اخناتون على سبيل التخفيف هو ابن الملك امنحتب الثالث من زوجته « تي » التي اختارها الملك من طبقة الشعب المصري لا الآسيوي ، كما زعم بعض المؤرخين ، فهي كريمة الأبوين المصريين يويا وتويا .

وأهم دافع حفزني للبحث في هذا الموضوع هو دراسة نظام الحكم في عصر هذا الملك وسابقيه من ملوك عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة) وبيان مبلغ سلطة هؤلاء الملوك : أكانت استبدادية مطلقة حقًّا كما يقول المؤرخون أمثال بريستد وماير ويونكر وموريه وبتري وسائر الباحثين ، أم أن الرأي بعكس ذلك كما انتهت اليه بحوثي وعلى ما سأعرضه الآن

كان نظام الحكم في مصر القديمة يتوقف على مقدار ما تتصف به سلطة الملك من القوة والضعف . واذا عرفنا أن الحكومة والملك شيء واحد ، وأن الحكومة قديماً كانت تتمثل في شخص واحد هو الملك وتتجمع في شخصه مختلف السلطات ، أدركنا أن الحكومات كانت تتغير حسب سلطة الملك قوةً وضعفاً فتصبح مطلقة أو مقيدة بقوة أخرى ، وهذه الظاهرة لم تقتصر على عصور الفراعنة المصريين ، بل نجد ما يشابهها في فرنسا في زمن الملك لويس الرابع عشر حينما ابتدع نظرية « الحكومة أنا وأنا الحكومة » .

والرأي السائد حتى الآن بين العلماء والباحثين أن سلطة الملوك في الفترة بين احمس الأول وايخ – ان – آتون كانت استبدادية مطلقة وأن نفوذ الأمراء زال تماماً تبعاً لانضوائهم في خدمة الملك كمديرين لمقاطعاتهم .

ولكن عند التعمق في دراسة هذا العصر وبحثه بجد الفاحص المدقق أن هناك مشكلة دقيقة تواجه المؤرخ وهي هل كانت سلطة الملك ايخ – ان – آتون ومن سبقه من ملوك

---

(١) زوجته الملكة نفرتيتي صاحبة التمثال الجميل المشهور بمتحف برلين ، ونفرتيتي معناه باللغة القديمة « الجميلة اتت » .

عصر الوحدة الثالثة استبدادية مطلقة ، أم كانت سلطتهم يضعفها وجود نظام اقطاعي خاص ؟

وبعبارة أخرى هل كان الملك ايخ – إن – آتون ومن سبقه من ملوك عصر الوحدة الثالثة منذ أيام تحتمس الثالث في قوتهم وسلطانهم كما يظهرهم التاريخ هم الواضعون لأساس النظام الاقطاعي الذي ظهر جلياً في عهد الملوك الذين تولوا الحكم بعد تحتمس الثالث بحيث انه عند ما تولى ايخ – إن – آتون الملك . ورث النظام الاقطاعي الخاص الذي كان على أيام سابقيه ، والذي قيّد من سلطتهم ، خلافاً لما كان معروفاً عنهم من قبل ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، فنجد أنه يمكننا القول ان الملوك المصريين القدماء لم تبلغ سلطتهم من القوة مثل ما بلغت في عهد الملك احمس الأول ومن تلاه من الملوك حتى عهد تحتمس الثالث (لأنهم أصحاب الفضل في تخليص مصر من أيدي الغزاة فأمكنهم أن يركزوا في أيديهم كل السلطات المختلفة في مقر عاصمتهم طيبة). ولكن من سوء الحظ كان الملك احمس ومن خلفه من الملوك على عرش مصر يمنح الآلهة المتعددة في مختلف الأقاليم (أمثال آمون في طيبة ورع في عين شمس وبتاح في منف وهكذا) أراضٍ يجعل ملكيتها باسم الآلهة المختلفة ويلحق بها امتيازات كان الملوك يعتبرونها في بادىء الأمر اعترافاً بجميل هذه الآلهة على ما نالوه من نصر في حروبهم أو بعثاتهم .

وهنا نرى شيئين خطيرين . أولاً : ان الملوك وهبوا أراضٍ واسعة للآلهة في مختلف الأقاليم . ثانياً : ان الملوك أعفوا هذه الأراضي من الضرائب بل وأضافوا اليها امتيازات أخرى .

***

وقد زادت هذه الأراضي زيادة غير منتظرة ولم يصبح منحها اعترافاً بالجميل للآلهة ، بل أصبح دليلاً على الضعف والتودد وانعكست الآية في عهد الملوك اللاحقين لعصر تحتمس الثالث ، فلم يعد الكهنة خاضعين لسلطان الملك كما كانوا في أول الأمر بل شعروا بنفوذهم وسلطانهم الذي أخذ في الازدياد في الوقت الذي أخذ فيه سلطان الملوك يضعف ويتقلص .

فما بوادر هذا الضعف من جانب الملوك وما هي مظاهر هذا الجاه وتلك السطوة من جانب رجال الدين ؟

(أولاً) : لم تصبح ادارة المعابد بعد خاضعة لادارة الحكومة المركزية كما كانت من قبل ، بل استقلت عنها تماماً . وبالتالي أصبح موظفو هذه المعابد ومديروها من الموظفين الدينيين تحت إمرة رئيس الكهنة في كل معبد .

وكانت ادارة هذه المعابد وأملاكها تتناول كثيراً من النواحي الزراعية والصناعية والفنية والاقتصادية والعلمية .

فمن الناحية الزراعية كان عدد كبير من العمال يعمل في زراعة الأرض والري والحصاد وتربية المواشي وشق الترع وغرس الحقول والحدائق بالفاكهة والأعناب .

ومن الناحية الصناعية كان عدد كبير يعمل في مستخرجات الماشية ومستخرجات الكروم وغيرها مثل عمال النسيج وعمال النبيذ .

ومن الناحية الفنية كان عدد كبير يعمل في بناء المعابد وملحقاتها وهندستها وفي النقش والنحت والرسم .

ومن الناحية العلمية ، كان عدد كبير أيضاً يعمل في علوم الدين وعلوم الفلك وفي الطب وشؤون الكتابة والقضاء والهندسة والكيمياء والرياضيات .

أضف إلى ذلك أن جمهوراً عظيماً لا يستهان بعدده من الرجال ، كان يعمل في كل معبد من هذه المعابد وملحقاتها في أعمال تتصل بالخبازة والحلاقة ومنهم الحلواني وصانع النعال والصائغ وحارق البخور وغالي الزيت وحامل المياه ومقدم القرابين .

يضاف الى هؤلاء أيضاً أنواع من الخدم كالحارس والبواب .

أما فيما يختص بمدينة الأموات التابعة لكل رئيس كهنة فادارتها معروف أمرها للجميع .

ولم يكتف رجال الدين برعاية شؤون الدين وإدارة معابدهم بل كانت لهم في كثير من الأحيان صلات وثيقة بكثير من الأعمال الحكومية أو بعض المهام الملكية ، فكثيراً ما كانوا ينتدبون لادارتها أو للإشراف عليها . ولعل من أهم الأمثلة التي تؤيد ذلك ما يلاحظ على ألقاب الكاهن الأكبر « حابو سنب » .

بل وأكثر من ذلك أصبح منصب رئيس الكهنة وراثياً ، فكان الخلف يعقب السلف دون أن يقوم نزاع أو خلاف كالذي كان يقوم عادةً بالنسبة لتوارث الملك في ذلك الحين .

وأظهر مثل لدينا على هـذا كبير كهنة منف الذي مثّل سلالته على احدى الجدران في أربعة صفوف في كل صفّ منها خمسة عشر كاهناً من أفراد أسرته ، وظلوا جميعاً متربعين في منصب الرياسة الدينية في منف ما يقرب من ألف وثلاثمائة عام تقريباً . وهناك قطعة أثرية أخرى بمتحف كوبنهاجن تمثل توارث كهنة عين شمس على هذا النسق .

أما كهنة آمون فقد نشر عنهم « لا فيفر » الـكثير كما هو معروف للجميع.زد إلى ذلك أن سلطة الرئيس الديني لا تنتهي بوفاة الملك المعاصرله بل تستمر ولا تعتبر منتهية إلاّ بوفاة هذا الرئيس . وربما ازدادت بما يصيبهم من ثراء على أيدي الملك اللاحق ، وبما يصيبهم من امتيازات جديدة وهدايا جديدة بصرف النظر عما وهبـه لهم أسلافه . فيكدسون بذلك الأحجار الثمينة والذهب وتتكاثر الأراضي والمواشي ويزداد عدد اتباع كل معبد .

ولم يكتف الرؤساء الدينيون بكل ما نالوه من هذه الامتيازات بل أطلقوا على أنفسهم لقب أمير « حاتي عا » فتشبهوا بحكام المقاطعات في ألقابهم وفي نفوذهم .

(ثانياً) بينّـا أن طبقات الـكهنة أصبحت مستقلة عن السلطة المركزية. ولهذا الاستقلال مظاهر متعددة فمن الناحية السياسية تدرّج الأمر برؤساء المعابد إلى أن أصبحوا في وقت واحد يجمعون بين منصبي « الرئيس الديني لجميع معابد آلـهتهم في مصر العليـا والسفلى » ومنصب « الوزير » وهو رئيس الدولة بعد الملك مبـاشرةً أي أنه قـد تطوّر نفوذ رجال الدين بالتدريج حتى أمكنهم الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية أو الجمع بين السياسة والدين

ويحدّثنا التاريخ أن « بتاح مس » كبير كهنة بتاح بمنف في عصر الملك أمنحتب الثالث جمع بين الوزارة ورئاسة كهنة بتاح بمنف ، كما أن « حابوسنب » كبير كهنـة آمون في عصر الملكة « حاتشبسوت » قد جمع أيضاً بين الوزارة ورئاسة كهنة آمون بطيبة .

فأصبح رؤساء المعابد بذلك يشتركون اشتراكاً فعليًّـا في حكم البلاد مع الملك .

ومن الناحية الادارية كان يقوم بادارة هذه المعابد وأملاكها من ضياع ومصانع وغيرها رجال دينيون يخضعون مبـاشرةً للرئيس الديني الأعلى للمعبد لا للسلطة المركزية . وكان اختصاص هذا الرئيس يتسع ويضيق تبعاً لمقدار انتشار عبادة الالـه القائم بعبادته وخدمته

ومن الناحية الاقتصـادية كانت معابدهم وما تمتلك من أرض وحيوان معفاة هي وباقي

الموارد من الضرائب سنويًّا ، كما أن ميزانية هذه المعابد كانت منفصلة عن الميزانية العامة للدولة انفصالاً تامًّا ، فكان لهذه المعابد بيوت للذهب ، وبيوت للفضة خاصة ، ومخازن غلال خاصة ، ومراكب خاصة لجلب الدخل والخيرات من البلاد التابعة لهذه المعابد ، غير بيوت الذهب والفضة ومخازن ومراكب الحكومة .

ومن الناحية الاجتماعية ، دلتنا النقوش على أن رؤساء المعابد كان لهم المقام الأول والاعتبار الأعظم . كما أن المعابد كانت تعتبر في ذلك الوقت بمثابة معاهد ثقافية تشبه دور العلم أو الجامعات في وقتنا هذا ، وكان الرؤساء الدينيون يعتبرون كعمداء لهذه المعابد .

ومن الناحية القضائية كانت تمثل رجال الدين في مختلف المحاكم .

أما وقد رأينا الآن ما انتهى اليه أمر هؤلاء الرؤساء الدينيين ، الذين يحق لنا أن نسميهم الكهنة الأمراء ، من سلطان مطلق في ادارة معابدهم وعلى الشؤون المتعلقة بالمالية والقضاء .

نخرج بنتيجة واحدة وهي أن نفوذ هؤلاء الكهنة الأمراء طغى على نفوذ الملك وتضاءلت هيبة الملك بجوار هيبتهم — فحق لنا أن نسمي هذه المعابد بدويلات داخل الدولة المصرية ، وان نسمي هؤلاء الرؤساء الدينيين « الكهنة الأمراء » .

وكان طبيعيًّا ، وقد شبهنا هذه المعابد بدويلات ، ان يكون لكل منها بوليس خاص لمراقبة جميع الأعمال والعمال ولحفظ الأمن .

وكذلك كان طبيعيًّا أن يكون لكل منها جيش خاص يذود عنها ويدفع عنها اعتداءات المغيرين ، فكان وجود هذه الجيوش مما يقوي من هيبة الرؤساء الدينيين ويضعف من هيبة الملك .

زد الى ذلك ان رؤساء المعابد كانوا هم رؤساء الجيوش ، في حين ان القاعدة ان الملك هو الرئيس الأعلى للجيش .

أصبح الكاهن الأعلى لكل معبد ، أو رئيس كل دويلة ، يزاحم الملك سلطته وسلطانه على البلاد .

فليس غريبًا بعد كل ما رأيناه من مختلف المظاهر لازدياد سلطة الكهنة الأمراء ، أن

نحس بانكماش سلطان الملك وتضاؤل سلطته في هذه النواحي المتعددة التي سبق أن تكلمنا عليهـا .

وأخـيراً يجب ان نطرح السؤال الآتي : ما هي أركان النظام الاقطاعي وأهم خواصـه وما مدى توافقها وانطباقها مع ما انتهى اليـه حال الأمة والدولة المصرية وكهنتها عنـدما ورث الملك اخ — ان — آتون عرش مصر ؟

إن خواص النظام الاقطاعي وأركانه تنحصر في أربعة أمور رئيسية : —

(أولاً) — الامارة : وقد رأينا ان الرئيس الديني انتهى الأمر به الى لقب أمير

(ثانياً) — التوارث : وقد أصبح منصب الرئيس الديني وراثيـاً يتوارثه أولاده ثم أحفاده دون نزاع أو خلاف .

(ثالثاً) — التعدد : وقد كان عدد هذه المعابد وممتلكاتها يتزايد للالـه الواحد في جهات مختلفة . فلما جاء اخ — أن — آتون وجد عـددها منتشراً في أجزاء مختلفـة من أقاليم القطر المصري .

(رابعاً) — الانفصال عن السلطة المركزية : وقد بيّـنا سابقاً أن هذه المعابد كانت منفصلة عن السلطة المركزية من جميع نواحي النشاط السياسي والاداري والمالي والقضائي والحربي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي .

***

من هذه الخواص مجتمعة ومما رأيناه من انطباقها وتوافقها على ما كانت عليـه الأمة المصرية ، وما وصلت اليه حال الـكهنة حتى عهـد الملك اخ — ان — آتون يمكننا القول أن كلمة « نظام اقطاعي » تنطبق على هذه التركة التي ورثها الملك اخ — إن — آتون مع فارق فني بسيط ، وهو أن هذا النوع الجديد من النظام الاقطاعي كان لأمراء المعابد بدلاً من أمراء المقاطعات المدنيين وذلك النظام الجديد من النظام الاقطاعي في هذا العهد يمكن تسميته بالانجليزية Temple Feudal System وبالفرنسية Féodatite de Temple وبالالمانية Templfurstentum » والعربية اقطاعيات المعابد « لأنه في هذا النظام الجديد حلّ المعبد وممتلكاته محل المقاطعة ومشتملاتها وحل الأمير الديني محل الأمير المدني .

والملاحظ أن هذه الظاهرة الجديدة ليست قاصرة على عهد الملك إخ — إن — آتون فحسب، بل إننا نجد لها نظيراً في كثير من العهود الفرعونية الأخرى .

ولما جاء إخ — إن — آتون إلى العرش أخيراً وجد الحال كما بينا ، وهو حال من النظام الاقطاعي الخاص ، جعل الملك الشاب لا يستسيغه بل وينتهز الفرص للايقاع بهؤلاء الأمراء الكهنة الذين أصبحوا خطراً على ملكه ، فشاء ان يتحرر من قيود هذا النظام الاقطاعي الذي ورثه عن أسلافه ، فثار ثورته المعروفة في السنة السادسة من حكمه حوالي سنة ١٣٧٧ قبل الميلاد ليتخلص من أولئك الكهنة الأمراء ومن سلطانهم ، بل ومن معبوداتهم وكثيراً ما تلعب السياسة دورها تحت ستار من الدين .



منصب الوزير
في مصر الفرعونية

جرت عادة ملوك مصر الأقدمين على أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربيـة على عاتق أكبر موظف في الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات » .

وكان لمن يشغل منصب الوزير من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذي يلي الملك مباشرةً في الأهميـة والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء في العاصمة أم في الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التي كانت للوزير كان ينتخب من اعرق العائلات المخلصة للعرش المتفانية في ولائهـا وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد ، أو أبناء الملك ، أو أقارب الملك في بعض العصور ، وفي عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفي ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إلـه الدولة الرسمي.

وأقدم من ذكر من الوزراء وزير الملك مينا (نعرمر) : الموحد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمـة (عصر وحدة وادي النيل الأولى) وقد جرت العادة في العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة .

وبابتداء عصر الوحدة الثانية (الدولة الوسطى) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة في تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك في وقت واحد . ولـكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولـكن من الثابت أن الشؤون

المصرية القديمة للمملكة الفرعونية قد زادت في هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير .

أما في عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة من مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التي تمتد من شمال أسيوط حتى البحر المتوسط ، والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس (بر رمسيس) ، والثاني كان مركزه طيبة .

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقاؤها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمي رع الذي كان وزيراً الملك تحتمس الثالث ، وأوائل عصر الملك امنحتب الثاني ، فنستنتج منها أن الملك هو الذي له حق تعيين الوزير . وكما أن الملك حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً في عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك .

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمي رع في منصب الوزارة للجنوب أسدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التي كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير فقد عثرنا في مقبرة الوزير أوسر ، خال الوزير رخمي رع ، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت الى الوزير حابو وزير الملك تحتمس الرابع ، من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقظاً لكل ما يجري في الوزارة . وإذا أتاك مشتك فيجب عليك أن تبحث بنفسك في شكايته ، عاملاً حسب القانون . ولتتبع الحق ولتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاباة ... لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيره بأن يحكم بالعدل ، وبألا يحابي أحداً كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومياً . فيبدأ الوزير عمله في كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكي يبدي فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو الرأس المفكرة العليا التي تدير سياسة البلاد .

وفي أثناء مقابلة الوزير الملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى ساريات القصر .

فاذا خرج الوزير تداول معــه في أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه الشؤون المالية وما اعترى خزينة الدولة من نقص أو زيادة (وطبيعي كانت في شكل مواد أولية كالأخشــاب والخضر والجلود والأقمشة وما أشبه) . وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحــكوميــة مما يدل على أن الملك كان يرشد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمه وتهم الدولة المصرية القديمة .

وفضلاً عن إشراف الملك على وزير المالية ، فقد كان هذا الوزير تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذي كان يعتبر عندئذٍ كرئيس الوزراء الآن . إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلعه على الحالة المالية العامة للدولة .

وقد كان لمنصب الوزير الأول للدولة في هــذه العصور القديمة من الأهمية الــكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة في العصور الحالية . فقــد كان الرئيس الأعلى للقضاء . ففي مقبرة رخمي رع نجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفــاً برديًّــا محفوظة داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضي الأعظم « ساب سبختي » وهو جالس في دار المحــكمة في إحدى الجلسات العلنيــة . (مع ملاحظة أن المرجع الأخير للمسائل الجنائية كان الملك، والمرجع الأخير في المسائل المدنية كان الوزير . وحتى في عصرنا الحاضر نجد العفو في المسائل الجنائية من حق جلالة الملك) .

كما كان وزير الحربية ، وبصفته هذه ، يشرف على الجيش والأسطول ، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيوش البرية والبحرية . وكان لمصر أســطول عظيم سطر في سجل التاريخ انتصارات كبيرة . وكان الوزير أيضاً المشرف على الشؤون الداخلية ، وكان بهذه الصفة رئيساً للبوليس في منطقة اختصاصه ومحافظاً للعاصمة .

ثم كان أخيراً المشرف على الشؤون الزراعية .

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليــه مصر القديمة من رقي ومدنية في الحضارة ، وترتيب وتنظيم في الشؤون الإدارية ، ودقة ومهارة في تكييف الأمور والتصرف فيها .

حاكم السودان العام

في تاريخ مصر الفرعونية

من طريف ما يحدثنا به التاريخ إنه عند تولي الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد في ظلال الوحدة أرادت الحكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فكتبت ما معناه : (أمر ملكي إلى حاكم السودان العام المدعو توري لكي يعلم ان جلالة الملك تحتمس ملك الشمال والجنوب وينشر ألقابه ويعلن انحلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس)

وكان يلقب حاكم السودان العام بلقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها ان يكون الحاكم حقًّا من أبناء البيت المالك ولكن هذا اللقب في الواقع معناه ان حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصال به ويهدف هذا اللقب الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحكم والادارة وحتى يفهم أهل السودان ان فرعون مصر قد أرسل اليهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الشقيقة

وكان لحاكم السودان العام توري السابق الذكر شرف الخدمة في عهد ملوك عديدين ، فقد تقلد منصبه في أواخر عهد الملك احمس الاول مؤسس عصر وحدة وادي النيل الثالثة وبقي حتى عهد الملك تحتمس الثاني — مما يدل على ان شاغل مثل هذا المنصب يبقى فيه طيلة عمره ما دام يؤدي عمله على الوجه الأكمل ومخلصاً لملك الوادي .

ومن الطريف أيضاً انه بابتداء عصر الملك امنحتب الثالث حوالي سنة ١٤٠٥ قبل الميلاد نجد حاكم السودان العام يحمل لقباً آخر وكان يحمله الوزير أيضاً معناه (حامل المروحة على

يمين الملك) مما يدل عن ان حاكم السودان أصبح أكثر تقرباً في بلاط ملوك عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة)

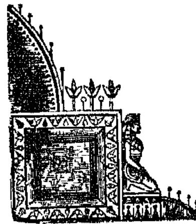
وكان من اختصاص حاكم السودان تصريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل القضائية والمالية .

أما شؤون السودان العسكرية والحربية فقد كانت من اختصاص رئيس جنود الرماة بالقوس في السودان .

وقد كان الحد الفاصل بين منطقة اختصاص حاكم السودان ومنطقة اختصاص وزير الجنوب عند جزيرة بجا القريبة من جزيرة فيلا بأسوان .

وكان يساعد الحاكم العام للسودان موظفان آخران أحدهما لقبه (ادنوان واوات) واختصاصه من أسوان الى الشلال الثاني ، والثاني لقبه (ادنوان كوش) واختصاصه الاقليم المحصور بين الشلالين الثاني والرابع .

كذلك كان يساعد الحاكم العام للسودان موظفون آخرون كالكتبة ومحاسب الذهب لأهمية الذهب في السودان وكثرة وجوده بكميات وفيرة هناك في تلك العصور .



هيرودوت في مصر

زار هيرودوت مصر حوالي عام ٤٦٠ قبل الميلاد ضمن البلاد الأخرى التي زارها ، ولم يمرّ هيرودوت بمصر وبغيرها من الأقطار مروراً عابراً بل كان خلال رحلاته شديد الملاحظة يسأل ويدقق النظر في كل معبد أو بناء مشهور يراه وفي عادات أهل البلاد التي يمرُّ بها .

لذلك ألّف هيرودوت تاريخه عن مصر من وحي مشاهداته وما سمعه خلال رحلته فدوّن ذلك مؤيداً برأيه الخاص أحياناً . وفي هذا يقول « يجب عليّ أن أنصَّ الرواية كما قيلت لي ولست مجبراً على تصديقها » لا سيما وقد اعترضته صعوبة عدم معرفته اللغة المصرية الفرعونيـة فكان يعتمد على ما يرويه له الأدلاء وخدم المعابد وصغار الكهنة الذين كانوا بدورهم لا يعرفون اللغة اليونانيـة معرفة تمكنهم من الإدلاء بما يعرفونه من المعلومات ، ورغم كل ذلك فقـد كتب هيرودوت موسوعة تاريخيـة خصص منها لمصر الجزء الثاني وفصول من الجزء الثالث ، وانما لا يسعنا إلاّ القول بأن علماء الآثار والتاريخ والاجتماع يعتبرون نصوص كتاب هيرودوت العمدة في تاريخ مصر . إذ أن هـذا الكتاب اليوناني أول كتاب مفصل متعدد النواحي وصل إلينا عن مصر القديمة ، فضلاً عن النقوش المصرية القديمة التي لم يوفق العلماء إلى قراءتها والكشف عنها إلاّ في القرن الماضي .

* * *

وقد صدق هيرودوت في بعض معلوماته التاريخية عن مصر نذكر منها على سبيل المثال وصف اللابيرنت (فقرة ١٤٨) وطريقة بناء الاهرام (فقرة ١٢٤ ، ١٣٤) واكتشاف علم المساحة في مصر وانتقاله منها إلى اليونان (فقرة ١٠٩) وأن المصري أول من عرف السنة الشمسية (فقرة ٤) وطريقة التحنيط (فقرة ٨٦) وذكره الملك مينا (فقرة ٤ و٩٩) .

كما أنّ هناك معلومات جغرافية صحيحة في كتاب هيرودوت جديرة بالتنويه نذكر على سبيل المثال ما أورده عن حدود مصر الجغرافيـة شرقاً وغرباً (فقرة ٨) وبحيرة موريس (فقرة ١٤٩) وأسماء بعض البلاد المصرية وموقعها مثل هليوبوليس وطيبة ومنف (فقرات ٣ ، ٥٩، و ١١٩، و ١٥٣) وفروع نهر النيل (فقرة ١٧ ، و ١٥٥) .

وطبيعي أن نجد الى جانب معلومات هيرودوت الصحيحة بعض الاخطاء التاريخيـة وبعض المعلومات الجغرافية الناقصة وقد أشار الى ذلك حضرة الأستاذ وهيب كامل في كتابه « هيرودوت في مصر » .



الفصل الثانى

بحوث اجتماعية

عيد الجلوس الملكي

في تاريخ مصر الفرعونية

كانت حفلات التتويج في مصر الفرعونيـة تتبع نظاماً خاصًّـا يكاد أن يكون هو نفس النظام المتبع في الدول الحديثة . وقـد ترك لنا التاريخ وصفاً رائعاً لحفـلات تتويج الملك رمسيس الثاني الذي كان من أقرب ملوك الفراعنة الى قلوب أبناء وادي النيل .

بنى الملك رمسيس الثاني ، الذي حكم وادي النيل من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ تقريباً قبل الميلاد معبداً كبيراً في الجهة الغربيـة من طيبة (الأقصر حالياً) هو معبد الرمسيوم ، ووصف على إحدى جدرانه مناظر ونصوص تتويجه التي كانت تسير على النهـج الآتي :

أولاً : تلاوة صلاة خاصة .

ثانياً : رش مياه الطهارة والحياة المقدسة على الملك .

ثالثاً : اعلان ألقاب الملك الرسمية .

رابعاً : اعلان اختياره وتقديمه لرجال البلاط .

خامساً : ارسال الخبر الى حاكم السودان العام .

سادساً : اطلاق أربع حمامات تحمل كل حمامة رسالة في عنقها فيها خبر تتويج الملك الى الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية .

ثم يلي ذلك احتفال عظيم يطلقون عليه اسم « الشروق » لأن الملك رمسيس يشرق عليه أمام شعبه كما يتجلى الـه الشمس رع أو كما تطلع عليهم شمسه المشرقة .

ثم يلي هـذا ظهور الملك على رأس موكب عظيم يضمُّ كهنـة يحملون تماثيل من ملوك مصر : وعلى رأسهم تماثيل ملوك مينا، ونب ـ حبت ـ رع ـ ، واحمس الاول . وهم واضعو

أساس عصر وحدة وادي النيل الأولى والثانية والثالثة كما سبق الاشارة اليها .

وهذا يدل على أن قدماء المصريين قد أدركوا ان كلاً من هؤلاء الملوك الثلاثة يبدأ عصراً تاريخياً هاماً وفترة قائمة بذاتها لها خصائصها ومميزاتها ، فان كل حالة من هذه الحالات الثلاث تبدأ عند بدء اتحاد مصر والتفاف شعب وادي النيل حول عرش ملك مصر

ولقد كانت حفلة تتويج رمسيس الثاني ذات أهمية تاريخية لأنها الى جانب كونها احتفالاً بذكرى ارتقاء الملك عرش مصر فهي ذكرى لقيام وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر في عصور مصر الزاهرة المختلفة .

وكان يدعى الى هذه الحفلة الأمراء وكبار الموظفين ورجال البلاط ومن اليهم ليشتركوا في الاحتفال وليروا الملك الجديد .

وبعد ذلك يتقبل الملك التهانىء من رجال بلاطه وحاشيته ومن كان غائباً يرسل تهانيه بالرسائل كما تنص نصوص أخرى على ذلك .

وكان يحيط بالملك الجديد عدا الوزراء عدد كبير من موظفي القصر الملكي يرأسهم رئيس الديوان الملكي (تي هنوت) وكبير الامناء (اوحم ـ ما ـ ان ـ نيسوت) والأمين الأول (تي ـ اوحم ـ ان ـ نيسوت) والقضاة وقادة الجيش[1] .

وكان يسمح لكبار رجال الدولة بتقبيل يد الفرعون ، وأما الأمراء فكانوا ينحنون فقط احتراماً في حضرة مليكهم .

(١) نفاخر بأن مصر هي الدولة الاولى في التاريخ القديم التي وضعت أساليب الحرب التي يتبعها قواد الجيش الحديثين ، هذه الاساليب التي أهم ما فيها تقسيم الجيش الى فرق والى قلب وجناحين كما ان الجندي المصري استعمل النبال (المقلاع) بجانب معداته الحربية القديمة فكان لهذا التجديد في حروب الرعامسة أشبه شيء باختراع المدافع في العصر الحديث .

ما أسدته مصر القديمة
للعالم الحديث

ليس من ينكر ما كان للحضارة المصرية القديمة من أثر في نواحي العلوم، والفنون والآداب والفلسفة، منذ فجر التاريخ لأنه بالرغم من قيام حضارات مختلفة في العصور القديمة، في أجزاء متعددة من انحاء العالم فقد كان وادي النيل مهد الحضارة البشرية الأولى، ومنه انتشرت الى بلاد الشرق والغرب على السواء، لذلك تدين الحضارات الحديثة لقدماء المصريين بكثير من الأشياء.

فمن أهم ما أخذه العالم الحديث، عن مصر القديمة. استعمال بعض عناصر الأبجدية في اللغات المختلفة، لأن من أهم عناصر الحضارة الحديثة، طريقة كتابة اللغات بالحروف الأبجدية. ومن الثابت تاريخيًّا أن الفينيقيين اقتبسوا أصول التصوير عن الهيراطيقي، واخترعوا لأبجديتهم إشارات خاصة، للدّلالة عليها، واستعملوها لكتابة لغتهم، وعنهم اقتبسها اليونان والرومان، ومن ثمَّ انتشرت في كثير من بقاع العالم الحديث، فكانت هذه أول أبجدية ظهرت في العالم، وبذلك تركت مصر أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل انّ مصر اخترعت الحبر (والورق البردي) فسهلت بهذين الاختراعين عملية تدوين آثار الانسان العقلية، وثروته الذهنية وقدمت للعالم أجلّ أثر، وأجل يد.

أما فيما يختص بالتقويم، فقد كان قدماء المصريين أول المتحولين عن التقويم القمري، الى التقويم الشمسي، إذ تنبهوا عام ٤٢٤١ ق. م. الى أن السنة الشمسية تشتمل على ٣٦٥ يوماً. والتقويم المصري هذا هو التقويم الذي حمله (يوليوس قيصر) من مصر، حوالي عام ٤٨ ق. م. الى روما، وهو التقويم الذي عدّله مجمع الكرادلة الذي عُقد برئاسة البابا

« جريجوار الثالث عشر » تعديلاً طفيفاً عام ١٥٨٢ م ، ثم صار تقويم العالم كله اليوم . ويعتبر هذا الاكتشاف الميقاتي واستعماله في شؤوننا العالمية ، خطوة كبيرة نحو الرقيّ والمدنية وفخراً عظيماً للوطن الذي اكتشفه ، كذلك قسم قدماء المصريين سنتهم الى إثني عشر شهراً ، وجزّءوا كلّ شهر الى ثلاثين يوماً ثم أضافوا آخر كل إثنى عشر شهراً خمسة أيام كي تكمل السنة الشمسية ، (أو ستة أيام كلّ أربع سنوات كما حصل في عهد بطلميوس الثالث) وابتكر المصريون أيضاً طريقة لقياس ساعات اليوم ، وهي المزاول (الساعات الشمسية) للنهار ، والساعات المائية لليل . فقياس الزمن بالسنين والأشهر والأيام والساعات كما هو حاصل اليوم يرجع في حقيقته الى مصر القديمة .

* * *

أما في فن العمارة ، فقد برع قدماء المصريين منذ أقدم العصور فيه ، وتركوا أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى ، فالمصريون هم أول من اخترعوا قوالب الطوب المستعملة حتى اليوم في البناء ، لا في مصر وحدها ، بل في كثير من البلاد الأجنبية . كذلك هم أول من استعملوا الحجارة في البناء ، وأول من وضعوا (الجبس) بين الحجر والآجر ، ففي الحفائر التي يقوم بالإنفاق عليها مولانا جلالة الملك فاروق الأول أدامه الله بجهة حلوان ، والتي يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى ، (حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م .) نجد استعمال (الجبس) بين احجار مقابر هذا العهد السحيق . ثم بدأت منذ عصر الاسرة الثالثة ، المباني العظيمة من الحجر ، كهرم (زوسر) ، والأعمدة المرتكزة على حوائط معبده . فاذا ما وصلنا الى الأسرة الرابعة ، وجدنا هرم (خوفو) المقام من كتل عظيمة من الأحجار على مساحة تبلغ الاثنى عشر فداناً ، وارتفاعه حوالي ١٤٠ متراً وهو أشهر عجائب العالم السبع ، ولا يزال ماثلاً للعيون ، ويزيد عمره على ٤٠٠٠ سنة ، ومع هذا فهو باقٍ يشهد مجد مصر الخالدة . ولو علمنا أن تلك الكتل الحجرية الكبيرة ، التي استعملت في بناء هذا الهرم تبلغ نحو ٢٣٠٠٠٠٠ حجراً متوسط ثقل الحجر طنان ونصف طن ، لهالنا أن نتصور ما يتطلبه نقلها وحملها الى الارتفاعات المطلوبة من مقدرة في فن العمارة وغيره من العلوم ، كالهندسة ،

والحساب ، والرياضيات، مما تحكم بأن الاهرامات[1] ماهي إلا آية من آيات فن البناء، وما هي في الواقع إلا مدى الخطوات الواسعة التي خطاها فن المعمار والعلم في تلك العصور السحيقة. وهذا التطور في البناء من الطين الى الطوب ، الى الحجر ، إلى بناء الاهرامات ، كانت نتيجة محتمة لتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والدينية في مصر القديمة. وقد راق هذا الفن في أعين أثرياء الرومان الذين بنوا مقابرهم على شكل هرم صغير حتى إلى عهد أغسطس قيصر روما .

ومن الأمثلة العديدة لتقدم فن المعمار في مصر القديمة معابد الدير البحري والكرنك وأبي سنبل ، ومقابر الملوك وغيرها مما يضيق المقام بذكره .

أما من حيث الزخرفة المعمارية ، فلسنا بالمغالين إذا قلنا ان العالم الحديث مدين في كثير من زخارفه للمصريين ، فالتزيين بالزهور لا سيما زهرة اللوتس المصرية ، والبردي والبشنين واستعمال سعف النخيل ورسم قرص الشمس ذي الأجنحة واقامة المسلات وتشييد الأعمدة لا سيما النوع المعروف بالدوري (دوريك Doric) ماهي الا زخارف مصرية ، اقتبسها الاشوريون ، والفرس عن المصريين ثم انتقلت عنهم الى الاغريق والرومان ، وبعد ذلك نراها تنتشر مع تغيير طفيف في أنحاء العالم المتمدين .

ولم يكن حظ قدماء المصريين من الزراعة بأقل من حظهم في الشؤون الاخرى فهم أصحاب أقدم حضارة زراعية عرفها العالم الى اليوم ، لأن انسان العصر الحجري الحديث (نيوليتكم) ابتكر زراعة الأرض ونجح في استئناس الحيوان ، وإخضاعه لأغراضه ، بعد ان كان يعيش على الصيد في العصر الحجري القديم واستخدم الفأس ، والمحراث وغيرهما من الآلات التي ما زلنا نستعملها الى يومنا هذا .

أما أثر قوانين قدماء المصريين في التشريع الحديث ، فالبحوث العلمية أثبتت أن أغلب القوانين الرومانية التي تعتبر أساساً للقوانين الحديثة ، ترجع الى قوانين قدماء المصريين .

[1] من الطريف ان الملك كان يبني الاهرامات في أيام فيضان النيل فقط وكان يقوم ببنائه المصريون وقد خصص الملك أيام الفيضان للبناء حتى يساعد الفلاح المصري الذي تغمر المياه أراضيه في ذلك الفصل من السنة على اكتساب قوته وايجاد عمل له وذلك خلافاً لما هو شائع من أن بناء الاهرامات سخرة للمصريين أو ان أسرى قاموا به .

الطب عند قدماء المصريين

قلنا إن المصريين هم أول من خط بالقلم على الورق البردي لأنهم مخترعوه ولورق البردي أهمية خاصة فالفضل مثلاً في اظهار تاريخ الطب عند قدماء المصريين يرجع الى ما وجدناه مدوّناً على ورق البردي .

وقد وصل الينا كثير من مؤلفات قدماء المصريين في الطب ، وأقدم الكتب الطبية يرجع تاريخه الى الملك « تتا » ثاني ملك من ملوك الأسرة الأولى . وقد حكم حوالي سنة ٣١٧٠ ق.م (أي أوائل عصر الوحدة الأولى) . كما أن بعضها كتب في الجراحة على أساس علمي صحيح دل على أن الجراحين القدماء شخصوا كثيراً من الحالات تشخيصاً صحيحاً وعرفوا طريقة علاجها ، بل أنهم استعملوا أدوية لتخدير الأجزاء التي يراد قطعها وتشريحها. ومن أهم هذه المؤلفات التي تبحث في الجراحة بردية « أدون سميث التي تحوي ٢٢ صحيفة ، ويرجع تاريخها الى حوالي سنة ١٥٥٠ ق . م (أي أوائل عصر الوحدة الثالثة) . وتعتبر أقدم مرجع في العالم في فن التشريح والجراحة . ومن المحتمل أن تكون هذه البردية نسخت من مؤلفات سابقة لعصرها .

وتشتمل هذه البردية على الجروح التي تصيب الجسم ثم تشخيصها وعلاجها وتبتدىء بذكر جروح الرأس وتنتهي بالقدمين ، أي متوخية ترتيب الأعضاء من أعلى الى أسفل . ولعلّ الاتجاه الى هذا الترتيب هو الخطوة الأولى في مقدار معرفتهم بالطب ودقتهم فيه وتنظيمهم له . ويمكن اختصار أهم حالات الأمراض الواردة في هذه البردية بالطريقة الآتية :

أولاً : أمراض الرأس . ثانياً : أمراض الأنف . ثالثاً : أمراض الفك العلوي . رابعاً : أمراض الصدغ . خامساً : أمراض الأذن والفك السفلي . سادساً : أمراض الشفتين والذقن . سابعاً : أمراض الحلق والرقبة . ثامناً : أمراض الكتفين . تاسعاً : أمراض الصدر والثديين.

عاشراً : أمراض العمود الفقري ، (والبردية أتلفت هنا ثم ذكرت أمراض إصبع القدم) .
فيتضح من ذلك أن الطبيب المصري القديم راعى حسن الترتيب بطريقة علمية منظمة .

كذلك قسمت الجروح الى جروح نتيجة لمعارك أو عضّ ، وجروح من أثر حريق ، وجروح نتيجة ضرب . ثم ذكرت كسر العظام والضلوع ، وكسر الذراع وهكذا . وهذا مما يدل على مهارة الطبيب المصري القديم في تحرّيه الوقوف على سبب المرض أو سبب الجرح ثم علاجه ، أي وصف الداء ، ثم إعطاء الدواء كما يجري الآن في وقتنا هذا .

وكذلك وصلتنا أوراق بردية بهـا وَصفاتٌ لطرق علاج الأمراض المختلفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت : مثل ما نسميه اليوم البلهارسيا (البول الدموي المصري) ، والحمّى القصيرة أو الطويلة ، وأمراض المعدة ، والديدان المعوية ، والقلب والـكبد ، وباقي الأمراض الباطنيـة ، وأمراض النساء كالتهاب الثدي أو ارتخائه ، ونزيف الرحم وإيقاف النّزيف والتهاب الرحم وغير ذلك .

ومن أمراض الأسـنان مثلاً التهاب اللثّـة أو تلف الأسنان أو تثبيتها . و من أمراض الأذن فقد السمع أو ضعفه أو نزول الصديد من الأذن . ومن أمراض العيون غزارة دموع العين ، وضعف النظر ، وورم العين والتهابها أثناء الزكام،والرمد الصديدي والحبيبي وغيرها .

وكذلك وصلت الينا الطرق التي تعالج بها حالات القيء كإيقافه أو تلطيفه أو إحداثه عند اللزوم في بعض الحالات .

وكذلك عرفوا المسهّـلات ، بل كان قدماء المصريين يعرفون أن الشرايين تبدأ من القلب وتأخذ منه الدم ثم تذهب إلى كل عضو ، أو بعبارة أخرى عرفوا أن القلب له علاقة بجميع الأوعية ومتصل بكل عضو ، بل زيادة على كل ذلك فقد عرفوا النبض .

وقد وصلت دقة المصريين القدماء في تلك العهود السحيقة إلى ما نحن نكافح من أجله في عصرنا الحاضر وهو الوقاية من الأمراض واستعملوا الحقن في إدخال السوائل في الجسم

وليس أدلُّ على مقـدرة المصريين القدماء في الطب وبراعتهم فيـه من فن التحنيط وما استعمل فيه من آلات ، فوصل تحنيط جثث الفراعنة إلى أعلى درجة من الإتقان بدليل تلك المومياث التي أُخرجت من مراقدها بعد مضيّ آلاف السنين وما زالت تحتفظ بهكلها

الآدمي كما كانت وقت الحياة . والسبب في اهتمامهم بالتحنيط هو أن من بين معتقداتهم الدينية أن الحياة لا تنتهي بالموت ، بل إن هناك حياة أخرى بعد الموت وهي البعث . ومن شدة اهتمام المصريين القدماء بعودة الروح لتزور جثتها أن القانون المصري القديم جعل الاعدام عقوبة من يسرق من مقبرة ويمسّ المومياء . فلا غرابة في أن نجد لذلك عند المصريين رجالاً اختصوا بفن التحنيط وغالباً كانوا من طبقة الأطباء .

وأهم شيء في عملية التحنيط هو استخراج الأحشاء بواسطة شق جدران البطن بسكين حاد وتنظيفها ثم وضعها في صندوق يعرف بصندوق الأحشاء ثم استخراج المخ من منافذ الأنف بقضبان عقفاء من حديد فيجذبون منه ما يمكن إخراجه من الجمجمة ، وما بقي يستأصلونه بعقاقير يقذفونها في تجاويف الجمجمة ، ثم يعالج كل الجسم بالنترون ، ثم يغسل ويلف في لفائف من الكتان .

كذلك مما يدل على براعة المصريين القدماء في الطب تخصص أطبائهم في مختلف أمراض فروع الطب . فبعضهم كان يختص بأمراض النساء ، والبعض بأمراض الأسنان ، والبعض بأمراض العيون ، والبعض بالأمراض الباطنية ، والبعض يختص بأمراض الحيوان ، (وكانت الحيوانات والطيور المقدسة تحفظ لاعتقادهم بقداستها كالعجل آبيس وأبي قردان) .

وكان يطلق على الطبيب باللغة المصرية القديمة اسم سن (سيني) .

وكان للملك طبيب أو أكثر من طبيب خاص . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن أحد وزراء الملك مرض مرة فأرسل له طبيبه الخاص مما يدل على مبلغ ما كان يكنّه الملك لوزيره من عطف ومودة .

وكان يتناقل مهنة الطب الابن عن الأب في أغلب العصور .

ودلت البحوث الطبية الحديثة على أن لقدماء المصريين فضل السبق على اليونان في عالم الطب . فقد كان اليونانيون يشيدون بذكر الأطباء المصريين ، ويتناقلون كتب طبهم ويحفظونها ليهتدوا بها . وعن اليونان أخذ الكثير من ممالك العالم الحديث

الموسيقى

عند قدماء المصريين

المصري القديم مرح بطبعه يغني في المنزل وفي الشارع وفي الفرح وفي كل مناسبة من مناسبات الحياة . ونلاحظ حتى الآن أن الفلاح يغني في الحقل وكذلك الفلاحات عند ملئهن الجرار من النيل مما يدل على وراثة المصريين لحب الغناء .

وقد تفنن المصري منذ القدم في نوع هذه الأغاني ، فمنها ما يتصل بالعمل ومنها ما يتصل بالعبادة ومنها ما يتصل بالغرام . ومن الصنف الأخير نجد الأغنية الآتية :

« عند ما أقبــل الحبيبة وأفتح فمها لا أحتاج إلى خمر أشربها .

أذهب إلى فراشي وقــد أعياني داء الغرام وعادني جيراني وبينهم حبيبتي التي زجرت الطبيب عند ما حاول علاجي لأنها أعلم بموطن دائي » .

وغير الغناء نجد الموسيقى . وقد أثبت المؤرخون أن أجدادنا استعملوا آلات الطرب المختلفة منذ أقدم العصور ، سواء أكانوا في منازلهم في الولائم والأفراح أم في المحال العامة في الأعياد والاحتفالات الدينية . ونحن نستطيع أن نفرق بين نوعين منهــا موسيقى منزلية وأخرى عامة ، ونحن نعني بالموسيقى المنزلية هــذه الموسيقى التي تحتاج إلى الآلات التي كان من السهل العزف عليها لغير المحترفين ، كما نعني بالموسيقى العامة هذا النوع الذي يحتــاج إلى مجموعة من الآلات التي لا بدّ منها لتكوين فرقة موسيقية كاملة وهذه الآلات الموسيقية كما عثر عليها في الآثار أو جاءتنا عن طريق الصور أو النصوص تدل دلالة واضحة على براعة قدماء المصريين في صنع هذه الآلات وإجادة العزف عليها . فنصوص الدولة القديمة وصورها تطلعنا على أن (مري-بتاح-رع) كان يرأس فرقة موسيقيــة تتكوّن من مغنٍّ ومن عازف على العود وآخر للربابة ونافخ في الناي . كما أن (حم رع) كان يرأس فرقة موسيقية تغني فيها امرأة .

أما إدارة الفرقة قديماً فكانت لا تختلف كثيراً عن إدارة الفرقة الموسيقية الأوربية مع ملاحظة أن المدير كان يُرَى جالساً أحياناً . ومن الجدير بالذكر أن هذه الاشارة التي كان يقوم بها الرئيس يعبر عنها في اللغة المصرية القديمة بفعل مخصص باليد لأن اليد هي العضو الهام في تأدية هذه الحركة .

وكانت الألحان في ذلك العصر من هذا النوع الهادىء الرقيق . وهذا الطابع الموسيقي كان ملحوظاً أيضاً في الموسيقى الراقصة التي كانت تتفق تمام الاتفاق وحركات الرقص وأوضاعه في ذلك الحين . وليس معنى هذا أنه كانت تستتبع وجود آلات موسيقية للرقص ، بل كثيراً ما كانت تكتفي باليدين . ونجد أحياناً بعض الراقصات يغنّين أثناء رقصهن .

أما أوضاع الجسم فكانت تتغير تغيُّراً كثيراً حسب ما تتطلبه الرقصة المطلوبة فنرى أحياناً صورة امرأة وقد ألقت رأسها وصدرها الى الخلف ، أو قدمت إحدى ساقيها على الأخرى ، وهكذا من ضروب الرقص الكثيرة .

وكان المثل الأعلى في الموسيقى المنزلية هو ما يوجد في القصر الملكي إذ كانت تعرف فيه فِرَقٌ كثيرة متنوعة تحت اشراف فنان عظيم .

ومثل الدولة القديمة مجد الدولة الوسطى ، بينما في الدولة الحديثة نرى الموسيقى وقد تطوّرت تطوّراً عظيماً ، فمن هدوءٍ رقيق إلى صخب مقلق . ولعلّ ذلك يرجع إلى الأثر الآسيوي الذي دخل البلاد في ذلك العصر مع الهيكسوس . فمثلاً الآلات الموسيقية ذات الوتر الواحد تعددت أوتارها التي كانت تصنع من الليف المضفور ، وتنوعت أحجامها أيضاً وقد دخلت آلات موسيقية جديدة في ذلك العصر كالآلة الكنعانية المسماة (كنور) والقيثارة والرق والرباب الجانبي (مندولين) وحلّ المزمار المزدوج محلّ الطويل المنفرد كما شاع في ذلك الوقت بين الشعب النافرون بالعصي والمصفقون بالصاجات .

وكما كانت الموسيقى حماسية قوية في ذلك العهد ، كذلك كان الرقص والغناء ، حتى إن بعض المغنيات المصريات كنّ يرحلنَ الى الأقطار المجاورة لنشر فن الرقص والغناء المصري في الأقطار الأخرى ، كما نعلم ذلك من قصة سياحة (ونآمون) .

وقد استمرّ الحال كذلك حتى العصر اليوناني الروماني ، وخاصة الآلة المصرية المعروفة

(مسترون) . بل نجد (فيثاغور) أبا الموسيقى عند اليونانيين يحضر إلى مصر ويتعلم الفنون الموسيقيـة كما حدثنـا بذلك (ديوجينيس) ويتحدث هيرودوت أبو التاريخ كثيراً حديث الاعجاب عن الآلات الموسيقية المصرية كحديثه مثلاً عنها في عيد (أرتميس) في تل بسطا .

***

هذا عرض موجز للموسيقى المدنية عند قدماء المصريين وليس معنى هذا أنه كانت تنقصهم الموسيقى الحربية . فالنصوص والرسوم والآثار التي وصلت الينا كثيرة في هذا الصدد ، وهي تجمع على ان المصري منذ فجر التاريخ كان أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية وأول من دقّ على الطبل لتنظيم المشي في المناورات الحربيـة بخطوات عسكرية واحدة . وهم أول من ابتدأوا السير في الاستعراضات العسكرية بالرجل اليسرى مع أن الأمم الحديثة تعتقد أنها هي التي ابتكرته . مما تقدم نرى أن المصري القديم لم يحرم نفسه لذة الطرب والغناء والموسيقى والرقص



النسيج

عند قدماء المصريين

كفل نهر النيل لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج لذلك كانت مصر منذ فجر التاريخ مشهورة بمنسوجاتها الكتانية ففي حفائر مرمدة (بني سلامه) عثر المنقبون على قطع من غزل الكتان فلا شك إذن في أن الغزل والنسيج كانا من أقدم الحرف في مصر .

ومن الطريف أن صور هذه الصناعات وجدت منقوشة في بعض المقابر . ففي مقابر بني حسن التي يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة المعروفة في التاريخ بأنها الأسرة الثانية عشرة نرى رسوم الأدوار التي تمر على نبات الكتان من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج . هذا إلى أنه كشف عن نماذج لنساء يشتغلن بالغزل والنسيج في مقابر الأسرة الحادية عشرة في طيبة .

كما وجدت في كثير من المقابر والمباني المدنية كالمنازل بقايا بعض الملابس والمنسوجات وأدوات النسيج .

وكانت الأقمشة الكتانية تصدر الى بلاد اليونان في العصور الفرعونية الأخيرة كما حدثنا بذلك هيرودوت وكما ذكر في سفر أشعيا .

وتلي صناعة الكتان في الأهمية صناعة الأصواف ويرجع تاريخ هذه الصناعة الى عصر فجر التاريخ فقد وجد الأستاذ زكي سعد في الحفائر التي يقوم بالإنفاق عليها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بجهة حلوان بعض الآثار المصنوعة من الصوف .

واستمرت في العصر القبطي مزاولة صناعة الغزل والنسيج في المنازل الى جانب المصانع وكانت هناك ضرائب تفرض على الناسجين كضريبة الترخيص بمزاولة صناعة نسيج الكتان .

ومن الطريف أن نلاحظ أن زخارف المنسوجات الملونة كانت منقوشة بطريقة التابستري Tapestry أي بتقاطع خيوط اللُّحْمة بخيوط السَّداة حتى اذ وصل النساج الى النقطة التي يريد زخرفتها أوقف عمليـة الحشو بخيوط اللحمة وأخذ في عمل الزخرفة بخيوط جديدة تختلف في لونها عن خيوط اللحمة الأصليـة . وقد تختلف عنها في نوعها وذلك بنسج هذه الخيوط الجديدة مع خيوط السداة الأصليـة ، وبعد الفراغ من عمل الزخرفة تنظم خيوط السداة كما كانت من قبل ثم تستأنف عمليـة النسج التي كانت تزاول قبل الزخرفة — وكان المصريين قدرة فائقة في استعمال الألوان .

وهذه الطريقة طريقة التابستري هي التي حذقها أجدادنا الفراعنـة وبلغوا فيها شأواً عظيماً وقد ورثها عنهم أحفادهم الأقباط وحافظوا عليها طوال العصور .

ولقد كان لجوّ مصر الفضـل في الابقاء على الـكثير من المنسوجات وعلى الاحتفاظ بألوان زخرفتها الزاهرة كما نشاهـد في آثار الملك توت عنخ آمون وفي قسم المنسوجات والأقمشة بالمتحف القبطي .



مركز المرأة
في مصر القديمة

مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تعدد الزوجات أمرٌ لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين الا انه كان للرجل الموسر الحق في أن يضم اليه كثيرات من المغنيات والجواري كما انه كان للملك الحق في أن يتخذ الى جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لا حقَّ لهنَّ في وراثة العرش .

وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على إدارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها .

وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وكيانها فقد كانت ذات شأن في الحياة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد .

ولم يكن اهتمامها بالمنزل وبأسرتها عائقاً لها عن التزين والتأنق فكانت تخضب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحل عينيها وتلوّن شفتيها باللون الأحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ، ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة العصرية لأنها كانت تستعمل الفرشاة عند التلوين وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الفتان . وكانت تجعد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها ، وتزين صدرها وعنقها ويديها بالحلى والجواهر .

والأدب المصري زاخر بالعبارات التي تبين حب الابن لأمه والابنة لأمها وزاخر أيضاً بالعبارات التي تبين علاقة الرجل بامرأته فكان يقبلها ويداعبها ويعانقها ويعاملها بالحسنى ولا يهجرها ، وكذلك يتيح لنا هذا الأدب معرفة الكثير عن خواطر المرأة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والحب

وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محفوظة بمتحف ليدن

وهي أن رجلاً مرض بعد وفاة زوجته فاستشار أحد السحرة في ذلك فأخبره أن يكتب خطاباً الى روح زوجته فكتب إليها خطاباً وذهب به الى مقبرتها في أحد الاعياد وقرأه بصوت عالٍ ثم ربطهُ بتمثالها حتى يصل إليها وقد جاءَ فيه : « أي ذنب جنيته نحوكِ أيتها الحبيبة حتى أقع فيما أنا فيه من بؤس وشقاءٍ ؟ أي ذنب جنيته أيتها الحبيبة حتى تساعدي أرواح الشر ضدي ؟ وماذا فعلت معكِ منذ زفافنا الى اليوم ؟ تزوجتكِ وكنت رجلاً يشغل منصباً صغيراً وتدرّجت بعد ذلك من منصب الى منصب وما جال بخاطري يوماً أن أهجرك وما فكرت أبداً في أن أجلب الحزن الى قلبكِ . ذلك كان شعوري يوم كنت صغيراً وما تحوّلتُ عنه لما صرتُ كبيراً في خدمة فرعون . فلم أهجركِ بل حافظتُ عليك في السرّاء والضرّاء . . وعندما مرضتِ ألم أحضر لكِ كبير الأطباء فبذل كل شيء في سبيل شفائك . إني لا أعلم يوماً قصرت فيه في واجبي نحوك » .

وقد كان للمرأة المصرية القديمة حظٌّ موفور من الثقافة مما يسترعي النظر . فالسيدات المصريات كنَّ مولعات بالعلوم والفنون . يحدثنا موظف يدعى « خنوم ردى » بأنه كان أميناً لمكتبة سيدة عظيمة القدر تدعى « نفروكابيث » ثم يقول ما ترجمته : « هذه السيدة عيّنتني في دندرة مشرفاً على خزائن الكتب الخاصة بأم تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم والفنون » ونجد بعد ذلك أن هذا الموظف ابتدأ يصف ما قام به من أعمال عظيمة في اثناء إدارته لتلك المكتبة فيقول : —

« قد زدتُ في عدد مجاميع الكتب الموجودة بها وجلبت لها كثيراً من المؤلفات الثمينة حتى أنها لم تعد في حاجة الى توسيع أكثر من ذلك على ما أعلم ورتبت هذه المكتبة ترتيباً حسناً لم يحدث مثله من قبل . وقد ربطت ما كان مفككاً (يعني أنه ربط لفافات البردي المحلولة) .

وأما من الوجهة المدنية فقد كان للمرأة كامل حقوقها في التصرف في أموالها والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها أو ابنها أو فرد آخر من عائلتها . وقد حدث ان تصرفت أم « الموظف امتن » بكامل حريتها في ملكها بالوصية والهبة .

مقام المرأة

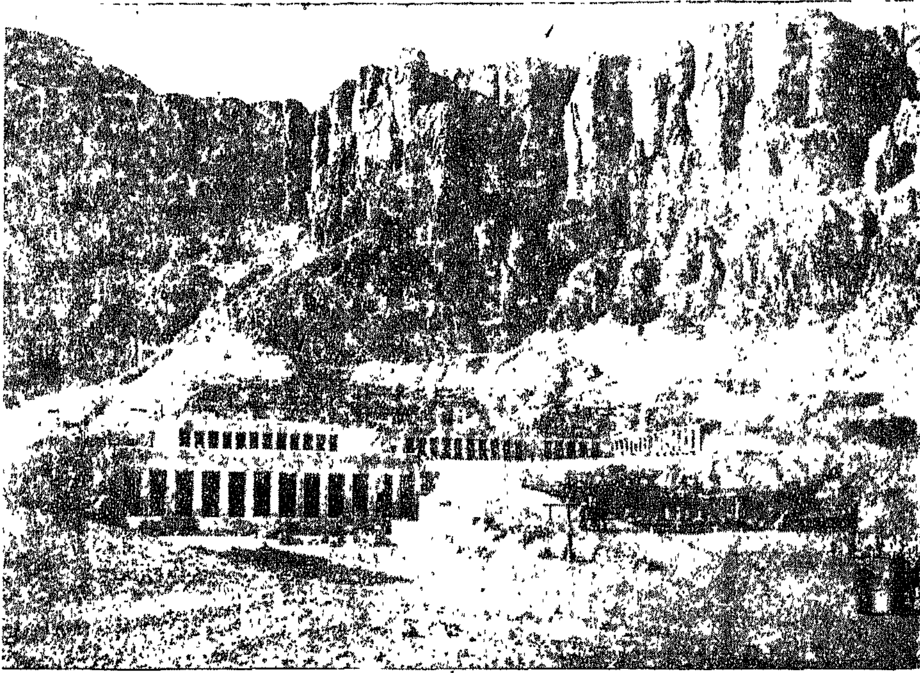
من الوجهة السياسية

كان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حقَّ تولي عرش مصر فلم تقعدها الانوثة عن ركوب الصعاب فشاركت الرجل في هذا الجهاد ، وتاريخ مصر القديم حافل بعدد وافر من شهيرات النساء اللواتي جلسنَ على عرش مصر . ففي الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكريس (خنت كاواس ؟) وفي الوسطى « سبك نفرورع » وفي الحديثة الملكة حاتشبسوت وفي عهد البطالمة الملكة كليوباترة الاخيرة (أعني كليوباترة آخر من تولى عرش البطالمة . وقد أخفقت في سياستها وبعد وفاتها سنة ٣٠ ق . م دخلت مصر تحت حكم أغسطس قيصر روما) . وسأقصر الكلام على الملكة حاتشبسوت التي تعدُّ من أعظم الملكات اللواتي عرفهنَّ التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر من سنة ١٤٩٣ ق . م الى سنة ١٤٧٩ ق . م وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انه وصل الينا شيء كثير عن أخبار بعض موظفي هذه الملكة .

ويمتاز عهدها بأنه كان عهد سلام ووئام مع الممالك المجاورة لمصر فلذلك تمكنت من أن توجه جهودها الى أعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت بسبب التنازع العائلي على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدها على تنفيذ الاعمال السلمية حروب والدها تحتمس الاول ، وكذلك المعارك التي خاض غمارها أخوها وزوجها الاول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت أركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر سن تحتمس الثالث ابن زوجها الاول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فقد ساعدتها كل هذه الظروف على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء .

وقـد استغلت هذه الملـكة مناجم شبه جزيرة سيناء سواء في صربوت الخادم أو في وادي المغارة ، فأرسلت هناك البعثات تلو البعثات للحصول على مسحوق معدن النحـاس والمواد الأولية اللازمة لعمل الزجاج .

وقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة عليه اسم هذه الملـكة وطبيعي ان صناعته استلزمت وقوداً كثيرة مما يدل على استعمال الـكثير من الخشب ويجعلنا نرجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن .



« معبد الدير البحري الذي أقامته الملـكة حاتشبسوت بطيبة الغربية »

واهتمت الملـكة حاتشبسوت كذلك بالمعابد فأكثرت من تشييدها . ولعلَّ أهم ما شيدته معبدها المعروف « بمعبد الدير البحري » وقد سمي بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر القبطي مع دير آخر بُـني في الجهة القبلية وأقصد به « دير المدينة » . ويتكوَّن معبد الدير البحري من ثلاث شرفات مدرَّجة ، الشرفة العليا تنتهي بصف من الحجرات . وقد بني هذا

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشبسوت . ومن حسن الحظ أن خلد اسم المهندس الذي شيّده وهو « سن إن موت »

أما الذي كلف الإشراف على صنع أبوابه من البرنز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو أحد رؤساء المالية الذي يدعى « تحوتي »

* * *

ومن المناظر والنصوص التي بقيت لنا من هذا المعبد وهي ذات قيمة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشبسوت بناءً على وحي الآلهي من الإله آمون (إلـه الدولة في ذلك الحين) وما يثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشبسوت بعثة تجارية الى بلاد بنت (الصومال) فقد بعثت في السنة التاسعة لحكمها اسطولاً مكوّناً من خمسين سفينة أقلع من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى وصل شرقي الدلتا، ومن شرقي الدلتا عبر هذا الأسطول قناة وادي طميلات (قرب اقليم السويس) الى البحر الأحمر

وبعد وصول الأسطول سالماً الى بلاد بنت عاد الى مصر محملاً بخيرات بلاد الصومال فاستقبلت الملكة حاتشبسوت قائده ورجاله في الكرنك بطيبة وقدمت للمعبود آمون بعض واردات الصومال .

ومن أهم ما شيدته الملكة أيضاً من الآثار ما أضافته الى معبد آمون بالكرنك واقامتها مسلتين عظيمتين فيه .

وقد بلغت ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزية المستعمرات تصل الى مصر بانتظام . بل من طريف ما قالته هي عن عصرها « إنها تكيل المعادن النفيسة كالحبوب أي بالمكاييل الكبيرة »

لقد ساهمت المرأة تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات،وكذلك كاهنات في المعابد،وطبيبات وكاتبات وموظفات وربات دور ومغنيات .

الفصل الثالث

بحوث قانونية

١ — مجموعة قوانين مصرية . قانون الملك حورمحب

٢ — القانون الجنائي عند الفراعنة

٣ — دور العدالة :

ا — المحاكم الوطنية

ب — المحاكم المختلطة

مجموعة قوانين مصرية

قانون الملك حور محب

جرت عادة لا يبرّرها استقصاء بين علماء علوم الآثار المصرية وهي أن يقال عند الكلام في نظام الحكومة القضائي إنّ المادة لهذا الموضوع غير كافية ، كذلك جرت العادة بين علماء القانون عند الكلام في تاريخ القانون أن تهمل مصر الفرعونية تماماً بحجة أن الفراعنة لم يسنّوا قانوناً جامعاً يدل على المواد التي كانت تتبع إذ ذاك مثل قانون حمورابي عند الأشوريين وقانون اللوحات الإثنتي عشرة عند الرومان .

وكان أول من حاول الخروج على هذه العادة Révillout [١] ثم Pirenne [٢] ثم أخرج أخيراً الأستاذان شارف وزيدل [٣] كتاباً يبحث في تاريخ القانون المصري القديم ويعالج بعض المشاكل التي تقابلنا في نظام القضاء الفرعوني .

وسأحاول في هذا الفصل أن أعرض باختصار لبعض مجموعات القوانين المصرية ، وسأحاول أن أبين باختصار كذلك منزلة التشريع المصري القديم في تاريخ القانون وتأثير هذا التشريع على الحضارات القديمة من يونانية ولاتينية .

أما المجموعات فانه لم يصلنا كثير منها ، ولكن الثابت أنه كانت توجد مجموعات منذ أقدم

(١) E. Révillout, Cours de droit Egyptien, Paris 1884.

(٢) J. Pirenne, Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte, Bruxelles 1932-1935.

جمع هذا المؤلف المواد اللازمة لهذا الموضوع وطبع ثلاثة أجزاء للدولة القديمة فقط . والذي يؤخذ على هذا المؤلف أنه أضاف بعض النصوص التاريخية والدينية التي لا علاقة لها بدراسة القانون .

(٣) A. Scharff und E. Seidl, Die Rechts geschichte des alten Aegypten, 1939.

العصور فقد أثبت بعض المؤرخين القدماء أن الملك مينا (حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م) أول ملوك الأسرة الأولى ومؤسس الدولة القديمة سنّ القوانين . ويقول في ذلك ديودور [١] إن القوانين كانت موضوعة في عصر الملك مينا ، ولا غرابة في هذا ، فإن الكتابة كانت قد تقدمت في هذا العهد [٢] أي أننا نجد في مبدأ عصر الوحدة الأولى القانون المصري قد وُضع وسُنّ .

وليس من شك في أن مثل هذه القوانين قد تكرر سنّها في العصور التالية لحكمه ، فقد أشير غير مرة في مواضع عدة إلى قوانين قديمة جدًّا نذكر منها على سبيل المثال:

١ — نصوص الوزير منتوحتب (أحد وزراء الملك سنوسرت الأول حوالي سنة ١٩٧٠ ق . م) [٣] .

٢ — تعليمات الملك تحتمس الثالث (أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة حوالي سنة ١٤٨٠ ق . م) لوزيره رخمي رع التي يشير فيها إلى قوانين قديمة جدًّا [٤]. وفي مقبرة الوزير نفسه نجد رسمًا لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفًّا من الجلد موضوعة أمام الوزير [٥] بصفته القاضي الأعظم (ساب سبختي) وهو جالس في دار المحكمة في إحدى الجلسات العلنية . ولا نعلم بالطبع ما كانت تحوي هذه الملفات من مواد قانونية .

أما مجموعات القوانين المصرية التي وصلت الينا فأهمها قوانين الملك حورمحب وهو موضوع هذا البحث .

والملك حورمحب (١٣٣٠ ق . م) هو أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة على أحدث الآراء . فلما تولى العرش كان أول ما اهتم به القضاء على الفساد الذي عمّ البلاد بسبب الثورة الدينية والاضطرابات الداخلية التي بدأت من عهد الملك اخناتون واستمرت إلى أواخر الاسرة الثامنة عشرة .

---

(١) Diodor, I, 54. (٢) K. Sethe, Vom Bilde zum Buchstaben.

(٣) Weil, Die Veziere, 38-39- Breasted, Ancient Records. I. p. 255.

(٤) K. Sethe, Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie, (Unters. V.)

(٥) P. E. Newberry, The Life of Rekhmara, plate 4.

ولقد كان من أشد عيوب هذا العصر انتشاراً تفشي الرشوة بشكل محسوس ظاهر بين محصلي الضرائب وموظفي الحكومة من قضاة وغيرهم لأنهم أمنوا اشراف رؤسائهم على أعمالهم فأسرفوا في استخدام نفوذهم في ابتزاز الأموال من الأهالي فعمّ الخلل كل الأعمال الحكومية . لذلك كان أول ما قام به حورمحب حين تولى العرش القضاء على هذه الحال وعلاج هذه العلل المتفشية فدرس أسبابها وعللها وسنّ قانوناً من عدة مواد بعضها خاصّ بالمرافعات وبعضها الآخر بالعقوبات .

وقد نقشت مواد هذا القانون على لوحة حجرية طولها ٥ أمتار وعرضها ثلاثة أمتار بالأقصر [1] غير أن مما يؤسف له أن هذه المجموعة وصلت الينا مهشمة فضاع بذلك أكثر من ثلثي نصوص هذا القانون .

وقد وجدنا صوراً لهذا القانون في جهات أخرى مثل أبيدوس [2] مما يدل على أن الملك تولى نشرها على الشعب في أمكنة مختلفة مخصصة لذلك . غير أن ما وجد من صور هذا القانون كان في حالة أسوأ من لوحة الأقصر .

وقد اكتشف هذا القانون ماسبرو [3] سنة ١٨٨٢ بجوار بوابة حورمحب في معبد الكرنك بالأقصر ويبدأ الملك هذه اللوحة بقوله : « سنّ جلالتي هذا القانون وأصدرته لضمان رفاهية شعبي » فيتضح من هذا صفة الملك حورمحب كمصلح وكمشرّع . ثم يسرد مواد القانون ثم يقول في آخر اللوحة « نفذوا أوامري التي أصدرتها . . . . نظراً لما شاهدته من الظلم الصارخ بهذه البلاد » فمن ذلك يظهر أن الغرض من وضعه هذا القانون غيرته على راحة شعبه وعلى تخليصه من الظلم الذي كان واقعاً عليه .

وأعجب ما في هذه الصيغة أنها تذكرنا بالصيغة الحديثة للقوانين إذ تشمل الإصدار والتنفيذ .

(١) Breasted, Ancient Records, III §. 45-67

(٢) P. Lacau, Stèles du Nouvel Empire. I, 203

(٣) G. Maspero, Note on the life and Monuments of Harmhabi (in, Th. Davies. The Tombs of Harmhabi and Tout- ankh-Amoun, 1912).

مواد القانون [١]

المادة الأولى — خاصة باستعمال القسوة مع الأهالي عند جمع الضرائب [٢] وبمن يسلب ضرائب البيرة والمطابخ الملكية من الأهالي ، فمن يوجد معه هذه الضرائب المسلوبة أو المراكب التي تحملها تجدع أنفه وينفى إلى بلدة ثارو [٣] سواء أكان الغاصب جنديًّا في الجيش أم أي رجل آخر .

المادة الثانية — خاصة بابتزاز مال الاهالي عن الأخشاب المستحقة الملك . (وعقاب من أتى ذلك غير موجود بسبب الكسر) .

المادة الثالثة — خاصة بإعفاء الشخص الذي سرقت منه الضرائب المستحقة وهي في طريقها إلى السراي الملكية (ديوان الحكومة) . (وعقاب من سرق الضرائب غير موجود بسبب الكسر) .

المادة الرابعة — خاصة بسرقة الضريبة المستحقة للحريم الملكي والضريبة التي في شكل هبات للآلهة بواسطة الجنود فكل جندي يرتشي تجدع أنفه وينفي الى بلدة ثارو

المادة الخامسة — خاصة بسرقة جمع نبات خاص يدعى « كت » وقد اندثر وكان يستعمل للعلاج . (وبسبب الكسر فان هذه المادة غير واضحة) .

المادة السادسة — خاصة بسوء معاملة العبيد من الذكور والأناث (وتكملة هذه المادة غير واضح بسبب الكسر) .

المادة السابعة — خاصة بسرقة ضريبة الجلود فكل جندي أو جابي ضرائب علم عنه أنه دخل المساكن قبل ميعاد حلول الضريبة لأجل سرقة الجلود يحكم عليه بمائة جلدة ويجرحه في خمسة مواضع وتسترجع منه الجلود المسروقة .

....

(١) آسف لعدم امكاني الآن اعطاء ترجمة حرفية لنصوص مواد هذا القانون وذلك لاني تعهدت بعدم نشرها لحين طبعي الاصل الهيروغليفي .

(٢) وكانت الضرائب في ذلك العهد تدفع في شكل مواد أولية كالاخشاب والخضروات والجلود وما أشبه .

(٣) وثارو هذه بلدة منعزلة على الحدود الاسيوية بجوار القنطرة .

المادة الثامنة — خاصة بالمفتشين العديمي الذمة المتواطئين مع محصلي الضرائب التي ينفق منها على الرحلات الملكية .

المادة التاسعة — خاصة بسرقة ضريبة الخضراوات (وعقاب من لم يراع نظام جمع الضريبة من الموظفين المختصين غير موجود بسبب الكسر) .

المادة العاشرة — خاصة بجمع ضرائب الحبوب (ومعظم نصوص هذه المادة ضائع بسبب الكسر) .

المادة الحادية عشرة — خاصة بشروط تعيين القضاة في أنحاء المملكة المصرية .

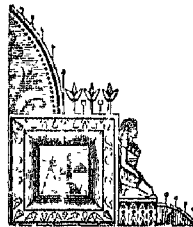
المادة الثانية عشرة — خاصة للتعليمات اللازمة للقضاة . على سبيل المثال « ليحكموا بالعدل بين الناس » وحذّرهم الملك من الاختلاط مع عامة الشعب وحذّرهم من الرشوة قائلاً : « لا تأخذوا أي هدية من أحد وإلاّ فكيف يمكنكم أن تحكموا بالعدل اذا كنتم أنفسكم جناة على القانون » .

المادة الثالثة عشرة — خاصة بترتيب أنواع المحاكم المختلفة (وبالأسف معظم هذه المادة غير واضح بسبب الكسر) .

***

من هذا نرى أن المشرّع المصري قد وضع نصب عينيه حماية الشعب مع مراعاة الصالح العام ، وملحوظ في هذا التشريع أيضاً أن العقوبات البدنية كان لها شأن كبير .

وترينا هذه المواد الناقصة بالاجمال عناية المصريين القدماء بسنّ القوانين المنظمة لجباية الضرائب وتنظيم المحاكم .



شيء عن القانون الجنائي

عند الفراعنة

ذكرنا أن أول مجموعة قانونية معروفة عند الفراعنة هي مجموعة الملك حورمحب [١] ورأينا أنها تشمل مواد خاصة بالعقوبات ومواد أخرى خاصة بالمرافعات .

وفضلاً عن هـذه المجموعة بقيت لنا أوراق بردية ونقوش متعددة ورد فيهـا ذكرٌ لجرائم مختلفة . وسنذكر هنا الجرائم والعقوبات التي وردت في مجموعة قوانين الملك حورمحب وبعض جرائم وعقوبات أخرى من أوراق البردى والنقوش . مرتبة حسب أهميتهـا ومعرفتنا لها .

أولاً — جريمة الاعتداء على الملك [٢]

ميزَ قدماء المصريين هذه الجريمـة عن غيرها من جرائم الاعتـداء الأخرى . وقد وصلتنا نصوص تثبت لنا محاولة الاعتداء على حياة الملك ، أهمها الشروع في اغتيال حيـاة الملك بيبي الأول [٣] والملك امنمحات الأول [٤] واغتيال حياة الملك امنمحات الثاني [٥]

(١) مجلة « القانون والاقتصاد » العدد الخامس من السنة الحادية عشرة صحيفة ٦٣٣ وما بعدها .

(٢) قارن « قانون العقوبات » المعمول به فى مصر لغاية مؤتمر مونتريه مادة ٧٧ .

(٣) K. Sethe, Urkunden des Alten Reichs, 1932, II, 99; J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt I 142. الملك بيى الاول هو ثالث ملوك الاسرة السادسة من الدولة القديمة (أي عصر الوحدة الاولى وعاش حوالي سـنة ٢٥٩٠ ق . م .

(٤) Grieffith, Zeitschrift fuer Aegyptische Sprache und Altertumskunde, Vol. 34 p. 35 ff.; Breasted, Anc. Rocords of Egypt, I, 228 ff. الملك امنمحـات الاول هو أول ملوك الاسرة الثانية عشرة من الدولةالوسطى (عصر الوحدة الثانية) وعاش حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م .

(٥) W. G. Waddell, Manetho, London 1940, p.67. الملك امنمحات الشـاني هو ثالث ملوك الاسرة الثانيـة عشرة من الدولة الوسطى وعاش حوالي سنة ١٩٣٨ ق . م .

والشروع في اغتيال حياة الملك رمسيس الثالث [1] .

ولما كان ما وصل إلينا عن محاولة اغتيال الملك بيبي الأول وكذلك الملك امنمحات الأول وكذلك عن اغتيال الملك امنمحات الثاني على غاية من الاختصار بعكس ما نعرفه مفصلا عن حادث محاولة اغتيال الملك رمسيس الثالث ، لهذا سنقصر كلامنا عليه .

كان ذلك حوالي سنة ١١٦٧ قبل الميلاد وكانت العادة المعروفة في توارث العرش عند الفراعنة أن يؤول العرش للابن الشرعي الأكبر للملك . وكان للملك أن يتخذ فضلاً عن زوجته الشرعية زوجات أخر ليست لهن هذه الصفة ويعتبر أولاده منهن غير شرعيين .

وكان ابن رمسيس الثالث الشرعي الذي سيخلفه في الملك يدعى « الأمير بنتاور » . وقد علمت الملكة « تي » زوجة الملك رمسيس الثالث الشرعية أنه اعتزم أن يورث عرشه أحدَ أبنائه غير الشرعيين دون إبنها الأمير « بنتاور » .

لذلك رغبت في تدبير مؤامرة لاغتيال حياة الملك رمسيس الثالث فاتفقت مع بعض الضباط ونساء بعضهم ومع كبار موظفي القصر الملكي وعلى رأسهم « بنتاور » ولي العهد على قتل الملك والتخلص منه حتى يخلص الملك لابنها « بنتاور » .

إلاّ أنه قبل تنفيذ المؤامرة عدل أحد أفرادها عن الاشتراك فيها فكان لعدوله الأثر الأكبر في فشلها وافتضاح أمرها . فشكلت محكمة من أربعة عشر قاضياً (وكان المتبع في ذاك الوقت أن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية [2]) ضماناً لعدالة الحكم . ولو أنه كان للملك بحكم سلطانه الإلهي الحق في إعدامهم دون الرجوع الى القضاء .

ولكي تأخذ العدالة مجراها لم يكتف بأنه أوصى القضاة بعدم التأثر بأي عامل خارجي

---

(١) Lemm, Aegyptische Lesestücke p. 108 ; Breasted, Anc. Records, IV p. 210 ff.
الملك رمسيس الثالث هو ثاني ملوك الاسرة العشرين من الدولة الحديثة (عصر الوحدة الثالثة) وعاش حوالى سنة ١١٩٨ ق . م .

(٢) E. Seidl, Rechtsgesgeschichte, Ubersetzungen und Abhandlungen zum vorptolemäischen Rechte Agyptens, in Kritische Vierteljahresschrift für Gesetzgebung und Rechtswissensenschaft p. 228.

عند إصدار أحكامهم على المتآمرين بل تنحى عن حقه في أنه المرجع الأخير في تقرير العقاب كما هو المتبع عادةً في القانون الجنائي بخلاف القانون المدني اذ كان الوزير هو المرجع الأخير (١) .

وقد أصدرت المحكمة أحكاماً مختلفة فبرّأت المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في الجريمة وحكمت بإعدام الامير « بنتاور » (٢) ومعظم المتآمرين والمتآمرات (٣) .

ونحن نرى شبهاً كبيراً بين ما اتخذته المحكمة من تبرئة المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في المؤامرة وما يتبعه القانون الحديث حيال « شاهد الملك » .

نستنتج من هذه الجريمة التي وصلت الينا تفاصيلها عدّة نتائج على غاية من الأهمية في تاريخ القانون :

معرفة الفراعنة لجريمة الاعتداء على حياة الملك وتفريقهم بينها وبين الجرائم الأخرى . ورأينا أنَّ الملك قد امتنع عن القضاء في هذه الجريمة التي تمسه شخصيًّا خلافاً لما كان متبعاً في الجرائم الأخرى من أنه المرجع الأخير في تقرير العقوبة .

وبذلك نرى احتراماً وتطبيقاً لمبدأ الفصل بين السلطات .

كذلك نرى أن العقاب الذي وُقِّع على المشتركين في المؤامرة هو نفس العقاب الذي كان ينالهم لو أننا طبقنا القانون الجنائي المصري الحالي وهي عقوبة الإعدام (٤) . وأن المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في الجريمة كان جزاءَ عدوله البراءة . وهذا يشابه في نتيجته العملية ما هو متبع في العصر الحديث (٥) اذ أن الذي يعدل عن ارتكاب الجريمة باختياره ومن تلقاء نفسه يعفى من العقاب مع الفارق الفني الضئيل بين البراءة والإعفاء من العقوبة .

(١) تناولنا بحث هذه النقطة بالتفصيل في كتابنا :
"Die Innere Verwaltung : Die Stellung des Königs und des Wesirs im Ramessidenreich'.
الذي سيظهر قريباً والذي أشار اليه الاستاذان شارف وزيدل في كتابهما .
"Die Rechtsgeschichte des alten Aegypten".

(٢) وقد طلب من الامير « بنتاور » أن ينتحر (قارن ما كان متبعا عند اليونان) .

(٣) كما حكمت بقطع آذان وأيدي من سهل للمتآمرين تنفيذ الشروع في المؤامرة دون الاشتراك معهم .

(٤) قارن « قانون العقوبات » المعمول به في مصر لغاية مؤتمر مونتريه مادة ٧٧ .

(٥) قارن « قانون العقوبات » المعمول به في مصر لغاية مؤتمر مونتريه مادة ٨٧ .

ثانياً — جرائم السرقة :

كانت سرقات القبور شائعة في العصر الفرعوني نظراً لاحتوائها على أشياء نفيسة بل على كل ما هو لازم لحياة الانسان في العالم الآخر .

ومن أهم الأمثلة لهذا النوع من الجرائم ما حدث حوالي سنة ١١٢٠ ق . م . من سرقة عدة مقابر لأفراد وموظفين وملوك دفنوا منذ حوالي خمسمائة سنة من تاريخ السرقة (١) ويفهم من تطبيق العقوبة عليهم رغم اندثار أقارب الموتى بعد هذا التاريخ الطويل أن هذه الجريمة كانت تعتبر في حكم ما نسميه نحن الآن « حق النظام العام » فكانت الدولة هي المجني عليها في هذه السرقات باعتبار أنها مخلة بأمن المجتمع وكيانه .

وكان عقاب هذه الجريمة أن يعدم المجرم على الخازوق (٢) أو يحبس (يسجن ؟) (٣).

ومن أمثلة جرائم السرقة أيضاً ما نص عليه في قانون « الملك حور محب » فقد نص في المادة السابعة من مجموعات قوانينه على عقاب سارق ضريبة الجلود : بضربه مائة جلدة وبجرحه في خمسة مواضع (٤)

ومن أمثلة جرائم السرقة أيضاً ما نص عليه في معاهدة التحالف التي عقدت بين الملك رمسيس الثاني وبين ملك الحثيين : « اذا ارتكب أحد رعايا الطرفين سرقة وجب نفيه وتسليمه لدولته » (٥) فهذا النص الصغير الصريح يدل على أن النفي كان محتماً على كل فرد من رعية أحد المتحالفين اذا ما ترك وطنه لسبب جنائي (٦)

---

(١) T. E. Peet The Great Tombrobberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, Oxford 1930. 2 Volumes.

(٢) وكانت هذه هي طريقة الاعدام الشائعة عندهم ومن الغريب أنها كانت موجودة في العصر التركي وآخر ما وصلنا عنها ما وقعه رجال الاحتلال الفرنسي على « سليمان الحلبي » لقتله « كليبر »

(٣) كان الحكم باعدام السارق على « الخازوق » يوقع على من لمس المومياء وبعقوبة الحبس « السجن ؟ » على من سرق ولم يلمس المومياء .

(٤) وتسترجع كذلك من السارق الجلود المسروقة . يلاحظ ما هو متبع في القانون الروماني من أن جريمة السرقة لا يعاقب عليها إلا اذا طلب أصحاب المسروقات اتخاذ الاجراءات القانونية (راجع بالتفصيل كتاب الاستاذ علي بك بدوي : « أبحاث التاريخ العام للقانون » الجزء الاول سنة ١٩٣٦ صحيفة ١٢٣) . وكتاب الدكتور بدر : القانون الروماني ١٩٣٧ .

(٥) Breasted, Ancient Records III, § 392 ff.

(٦) وهذا يذكرنا في القانون الحديث بنظرية « تسليم المجرمين » .

ثالثاً — جريمة اختلاس الأموال الأميرية :

عقابها واضح في قانون الملك « حور محب » وهو جدع أنف المختلس ونفيه الى بلدة « ثارو » على الحدود الشمالية الشرقيـة . راجع المادة الأولى من مجموعات قوانين الملك « حور محب » .

رابعاً — جريمة الرشوة

من جرائم الرّشوة ما نصّ عليه في قانون الملك « حور محب » فقـد نُصّ في المادة الرابعة من مجموعات قوانينه على عقاب المرتشي بالنفي الى الحدود وجدع أنفه .

خامساً — جريمة شهادة الزور

يختلف العقاب فيها باختلاف أهمية الشـهادة وعقوبتها تتراوح بين حبس ونفي [(١)]

سادساً — جريمة هتك العرض

يختلف العقاب في هذه الجريمة باختلاف حالة السيدة ومكانتها في الهيئة الاجتماعية متزوجة أو غير متزوجة ، وباختلاف حالة الجاني إن كان من الخدم أو الأقارب أو الاتباع وهكذا[(٢)]

وهناك جرائم أخرى خلاف هذه الجرائم السابقة الذكر كالتزوير في المستندات الرسمية[(٣)] ولـكنها غير واضحة لتلف في النصوص التي وصلتنا عنها .

يتضح لنا مما ذكرنا ما كان عليه القانون الجنائي عند الفراعنة من رقي وما كانوا يتخذونه في اقامة العدل بين الناس .

....

(١) E. Seidl, Rechtsgeschichte, Ubersetzungen und Abh., in Krit. Vierteljah., p. 228 ff

(٢) Cerny, Papyrus Salt, Journal of Eg Arch,., XV, 243, ff.

(٣) Gardiner, Inscription of Mes, in Sethe, Untersuchungen, IV, 3 ff.

دور العدالة

في مصر القديمة

١ – المحاكم الوطنية

تقديس المصري للعدل ظاهر في النصوص والأساطير المخلفة عن عصور التاريخ المصري القديم، ولم تقل عناية الشعب والقائمين على شؤونه بهذه الناحية الاجتماعية عن عنايتهم بعباداتهم وتقديسهم لآلهتهم، وذلك لأن العدل أساس الملك، والعدالة شرط لا بدّ منه إذا أريد للدولة الحياة وللأمة البقاء.

فلا عجب إذن أن نرى للعدل إلاهة تدعى « معات » تهيمن على ممثليها في الأرض كالملك والوزراء والقضاة وسائر الأفراد. فالمعبودة « معات » هي التي ينتسب إليها القاضي ويدعى كاهنها، و « معات » هذه هي التي كانت تتحلى بتمثالها الصغير القلادة التي يلبسها القاضي، حول عنقه عند النظر في القضايا، ولعلّها في ذلك الوقت كانت تشبه صورة مليك البلاد باعتباره حامياً للقضاء تتوج كل قاعة من قاعات العدل في وقتنا الحاضر ليطمئن المظلوم ويرهب الظالم.

فقد ورد في قصة بردية (الفلاح) أنّ موظفاً حكومياً كبيراً في جهة الفيوم نازع فلاّحاً صغيراً على ملكية منقول صغير فقدمت القضية الى المحكمة فأصدرت الحكم في مصلحة الفلاّح الصغير ولم يستطع الموظف الكبير استغلال سلطة وظيفته.

ولم تقتصر المساواة على شيوعها بين الكبير والصغير بل ثمّة ما هو أهم وأعظم من هذا فقد ثبت من أوراق بردية (ابوت) أن جماعة من الشعب وموظفي القصر الملكي شرعوا في قتل رمسيس الثالث فرعون مصر ولكنه حرصاً منه على العدل كتب الى قضاته قائلاً

ما ترجمته : « إنّ هؤلاء متهمون خفقوا في أمرهم بروح العدل » .

ومما يدل كذلك على عظم اهتمام الدولة الفرعونية بتقديس العدل وسرعة البت في القضايا والشكاوى وعدم المحاباة ما جاء في وثيقة تاريخية عن نظام القضاء بمقبرة « رخمي رع » أحد وزراء الملك تحتمس الثالث .

فقد ورد في هذه الوثيقة بيان الاختصاصات والمهام القضائية التي عهد فيها الملك الى وزيره عند تعيينه رئيساً للوزراء ووزيراً للعدل فقد كان الوزير هو القاضي الأول في الجلسة ومعه قضاة آخرون وكان يحمل في عنقه صورة المعبودة « معات » رمز العدالة

وكانت الهيئة تسمع المتقاضين في جلسة علنيـة واحداً واحداً ولا تسمح بسماع متأخر قبل متقدم . وكان يقف في الجلســة كتبة لتسجيل كل ما يدور بشأن القضايا وموظفون إداريون لتنظيم صفوف المتقاضين حسب ما هو وارد في جدول الجلسة .

ولم يكن القانون المصري القديم يبيح الإطالة في القضايا والشكاوى بل يميل الى الفصل فيها بسرعة فان تقدمت للوزير على سبيل المثال شكوى عن أرض بعيدة عن العاصمة أرسل مندوباً لتحقيقها في خلال شهرين وان كانت قريبة من العاصمة حققت في خلال ثلاثة أيام طبقاً للقانون .

وسجل الوزير « رخمي رع » أسمى مظهر للعدالة بمقبرته في طيبة فانه كان يجول بين الشعب في الصباح الباكر ليسمع شكاوى الشاكين على اختلاف مراتبهم لكي يرفع الظلم عن المظلومين الذين لايستطيعون الوصول إليه أو الى مجلس القضاء لفقرهم أو لجهلهم بالقانون .

وكان يكلف الـكتبة الذين بصحبته أن يكتبوا ما يمليه عليهم الشاكون الأميون .

فمن هذه الأمثلة الموجزة يتبين مقدار احترام أسلافنا المصريين للقانون ومحبتهم للعدالة والدقة مع السرعة في تنفيذ القانون بما يكفل الطمأنينة لجميع أفراد الشعب على السواء .

ولتعميم العدالة في البلاد أنشئت في مصر القديمة محاكم من نوعين ، مدنية وجنائية —
وكان اختصاص المحاكم المدنية الفصل في المنازعات العقارية من انتقال ملـكية أو بيع أو شراء أو هبـة أو وصية أو ميراث أو إيجار وما الى ذلك — وكانت المحاكم المدنية على ثلاث درجات : —

١ — محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة — وكان يطلق عليها عادةً في اللغة المصرية القديمة إسم « جاجات » بمعنى مجالس قضائية ، وكان القضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين المعروفين باسم « سرو » أي « الكبار » وكانت تعقد جلسات هذه المحاكم بإشراف حاكم القرية .

٢ — الثانية محاكم عواصم الأقاليم — أو بالمصرية القديمة « حات ور » أي البيت الكبير وكانت تنظر في القضايا التي تشبه تلك التي تنظر أمام محاكم الدرجة الأولى وينتخب قضاتها من طبقة كبار الموظفين السابقة . وكانت تعقد جلساتها برياسة حاكم الأقاليم — ووزير العدل هو الذي كان يعين قضاة محاكم الدرجتين الأولى والثانية .

٣ — الثالثة وهي محاكم استئنافية — تنظر أمامها قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وتسمَّى « سوني حات ور » ويختار قضاتهـا الستة من أعضاء مجلس العشرة وكان يرأسها الوزير بصفته وزيراً للعدل والملك هو الذي يعين قضاة هذه المحاكم الاستئنافية .

ومما هو جديرٌ بالذكر أن القاضي كان يعرف في المصرية القـديمة باسم « صاب » أي المصلح إشارة الى مُهمة القاضي والغرض من القضاء ، وهذا النوع من المحاكم لم يلازم الشعب المصري القديم في جميع عصوره ، بل تحوَّل مع مرور الزمن . ففي عصر الوحدة الثانية (الدولة الوسطى) ظهر نوع آخر يعرف باسم « قنبت » واستمرَّ في عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة) وامتاز بأن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية . وكانت المحاكم الاستئنافية لهذا النوع من المحاكم تسمى «قنبت عا» . واستمر الحال على هذا المنوال حتى عصر البطالمة فبقيت هذه المحاكم الوطنية لتطبيق القانون المصري في النزاع بين المصريين والفصل في قضاياهم وسميت باليونانية « محاكم الـ Laocritae

٢ — المحاكم المختلطة

وقد لا يعرف الا قليل انه كان في مصر القديمة ما يسمى بالمحاكم المختلطة أنشئت لظروف خاصة وزالت بزوال تلك الظروف .

فقد كانت تطبق على الاغريق القوانين الاغريقية في محاكم اغريقية تسمى محاكم

الـ « Chrematitistae » إذا كان فريقا النزاع منهم ، وهي تشبه المحاكم القنصلية ، ولكثرة نزوح الأغريق الى مصر بعد غزو الاسكندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم قيام أسرة ملكية جديدة للبطالمة.

ولما زاد عدد الأجانب الذين وفدوا على مصر وكثرت المداولات التجارية مع وجود اختلاف بين القوانين المصرية المحلية والأغريقية ونشوء المنازعات بين الأجانب والمصريين واختلاف اللغة الأغريقية عن المصرية القديمة وضرورة الفصل في هذه المنازعات ، أنشئت محاكم جديدة عرفت باسم « Koinodikion » أي محاكم مختلطة » إبتدائيـة في الفيوم أو الإسكندرية وطيبة ومحكمة استئناف مختلطة في الاسكندرية (مقر الملك) تضم عدداً من القضاة اليونان أو المقدونيين والمصريين .

ولما انقضى الغرض الذي من أجله أنشئت هذه المحاكم زالت بزواله . وفي الوقت عينه تقلص حكم الدولة اليونانية المعروفة بدولة البطالمة وحلت الامبراطورية الرومانية محله .

وكان يشمل اختصاص محاكم الـ Koinodikion هذه القضاء المدني والقضاء الجنائي ونذكر بهذه المناسبة أن خلافاً نشب بين شخص يدعى Marres وشخصين آخرين على تقسيم كرم . وبينما كان عمال ماريس هذا يشتغلون في الكرم جاء شخص رابع وطردهم ولكن الشخصين أطلقا أغنامهما في الكرم فأتلفت الزراعة عمداً .

فقدم ماريس شكوى لرجال البوليس يطلب تقسيم الكرم وتعويضه عن الخسائر التي تسببا فيها مع الشخص الرابع ولمعاقبة الشخص الرابع .

فأشر قائد البوليس على الشكوى بأنه في حالة العجز عن التوفيق بينهم تحال الشكوى على المحكمة المختلطة .

الفصل الرابع

بحوث أثرية

١ — منارة الاسكندرية

٢ — سرابيوم « الاسكندرية »

٣ — مصر العتيقة والحصن الروماني

٤ — الاثر الدنيوي في الفن القبطي

٥ — أدوات زينة المرأة في العصر القبطي

منارة الاسكندرية

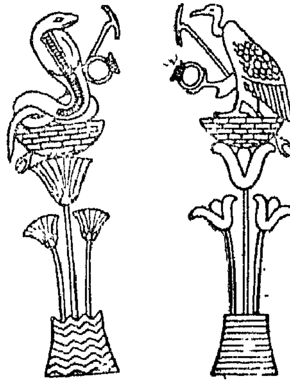
كان لأسطول بطلميوس الأول — الملقب باليونانيـة (سوتر) وبالمصرية (نجم) أي المخلص — السيادة البحرية التامة على البحر المتوسط ، فتقدمت المدنيـة التجارية بالإسكندرية تقدماً عظيماً خاصة طول مدة حكمه كوالٍ (٣٢٣ — ٣٠٥ ق . م) أو كملك (٣٠٥ — ٢٨٢ ق . م) وقد بذل جهوداً جبارة لضمان تقدم البلاد تجاريًّا ورفع مستواها أدبيًّا وعلميًّا ، فقام بكثير من المشروعات العمرانيـة الخالدة كبنائه منارة الاسكندرية الشهيرة لهداية السفن على جزيرة (فاروس) عند مدخل الميناء ، وهي تعتبر أول منارة عرفها العالم القديم ، كما أنها أكبر منارة حتى يومنا هذا وهي تعدُّ إحدى عجائب العالم السبع .

وقد جرت عادة بعض المؤرخين إلى نسبة بنائها إلى الملك بطلميوس الثاني الملقب (فيلادلفوس) إلا أن الحقيقة العلميـة لا تقرُّهم على هذا الرأي ، فقد ثبت أخيراً أن مشيِّدها الحقيقي هو بطلميوس الأول الذي أسند مهمة الإشراف على بنائها للمهندس (اليوناني Sostratus) الذي نشأ في بلدة (كنيدوس Cnidos) إحدى البلاد اليونانية ثم أتيحت له الفرصة فانضم إلى حاشية بطلميوس الاول . وقد ظلت هذه المنارة قائمة حتى القرن الرابع عشر الميلادي حيث هدمها زلزال شديد عام ١٣٠٧ م . ومن حسن الحظ أننا نجد وصفاً مستفيضاً لهذه المنارة في مؤلفات كثيرين من المؤلفين المتقدمين أمثال (سترابون) و (يوسيفوس) و (ابن الصائغ) و (ياقوت) كما وصلتنا أيضاً صورة لهذه المنارة على بعض قطع من العملة الرومانية التي عثر عليها أخيراً . ومن الأوصاف التي وردت في تلك الكتب وعلى بعض قطع النقود نستطيع أن نقول إن هذه المنارة كانت مشيَّدة في فناء مربع يحيط به سور عظيم من جهاته الأربع وكان خارج هذا السور رصيف يسير عليه الناس . أما المنارة نفسها فكان ارتفاعها مائة متر ، وتتكوَّن من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض ، فكانت

السفلى مربعة الأضلاع والوسطى مثمنة ، أما الطبقة العليا فكانت مستديرة، ويعلوها تمثال رجل من النحاس يحمل مصباحاً .

وقد أُطلق على هـذه المنارة اسم الجزيرة التي شيدت عليها أعني (فاروس) فأصبح هذا اللفظ يدل في اليونانيـة وكثير من اللغات الهندية الأوربية على معنى (منار) والذي أصبح في العربية (فنار) وفي الفرنسية (فار Phare) وفي الانجليزية (فاروس Pharos) .

ويعتبر علم الآثار هذه المنارة أقدم بناء من هذا النوع عرفه العالم ، وأن هذا البناء أصبح فيما بعد مثالاً يحتذى عند بناء جميع منارات العالم قديماً وحديثاً،بل تحفة فنية من تحف فن العمارة والزخرفة والهندسة التي ترجع الى ذلك العصر السحيق .



سرابيوم
معبد الاسكندرية

منذ أعوام قلائل اكتشف رجال متحف بلدية الاسكندرية بجوار عمود السواري آثاراً ترجع الى عهد الملك بطليموس الثالث . وقد نوهت بها بعض الصحف يومئذٍ وذكرت أن بينها لوحات ذهبية تدل على أن بطليموس الثالث هو المنشىء لسرابيوم الاسكندرية .

غير انه قد اتضح من بحث المراجع الأثرية والادلة التاريخية أن منشىء سرابيوم الاسكندرية هو بطليموس الأول لا الثالث .

ولقد كان الاسكندر الأكبر وحكام البطالمة يميلون الى مهادنة المصريين ومجاملتهم من الوجهة الدينية . ولذلك حذوا حذو ملوك الفراعنة فكانوا يزورون الآلهة المصرية في معابدها ، واتخذوا لأنفسهم الألقاب المصرية التي ترجع الى تاريخ معبودات مصرية قديمة كاللقب الحوريسي نسبة الى الإلـه حورس (إلـه السماء) ، الذي كانوا يعتقدون انه يحمي حامل لقبه، بل يعتبر من سلالته . واللقب صارع نسبة الى الإلـه رع (إله الشمس) ظناً منهم أن المسمى به يعتبر ابناً للإله رع .

ولم يكتف بطليموس الأول باستمالة المصريين وإرضاء كهنتهم بمثل هذه الطرق ، بل فكر في طريقة أخرى لايجاد عبادة مشتركة يونانية مصرية تربط الشعبين .

فغيَّر اسم المعبود المصري (العجل آبيس) بتسمية مصرية يونانية (أوسرحابي ، أي العجل آبيس المتوفي) بسرابيس . وعبده المصريون في شكل الآلهة المصرية أزوريس أو العجل آبيس أو الإلـه أنوبيس . واليونانيون في شكل الإلـه اليوناني هادس (إلـه الآخرة) أو اسكالبيوس (إله الشفاء) أو زيوس .

وبذلك أصبح كلٌّ من الشعبين لا يعتبر هذه الديانة رمزاً لديانة جديدة .

فكلّف بطليموس الأول المهندس اليوناني Parmenissus بارمنيسوس إنشاء معبد

للإلـه سرابيس بالاسكندرية فأقامه مكان عمود السواري الحالي ، وأطلق عليه اسم السرابيوم وكان هذا المعبد أهم مركز لعبادة هذا الإلـه في عصر البطالمة .

وقد أضاف أيضاً بطليموس الأول هيكلاً جديداً بسرابيوم منف [١] للمعبود العجل آبيس ، وهو أحد أشكال الإله سرابيس على الطريقة المصرية كما تقدم . ويرجع تاريخ سرابيوم منف الى الدولة الحديثة أو الى ما قبل هـذه الدولة في بعض الآراء . ولا يمكن القول بأن بطليموس الأول هو الذي أنشأ سرابيوم منف بناءً على التعديل الذي أجراه فيه [٢] .

كما أن وجود ألواح ذهبية باسم بطليموس الثالث بسرابيوم الاسكندرية منقوش عليها أنه أهدى إلى سرابيس المعبـد والحرم المقدس — لا يدل دلالة قاطعـة على انشاء هـذا السرابيوم ، بل يستنتج من النقوش فقط إنه اهتم بتوسيع هذا المعبد أو بتجديد بنائه كما حدث في سرابيوم منف في عهد بطليموس الأول لا سيما أن السرابيوم يشمل عدة مبانٍ .

وقد وجد علماء الآثار ألواحاً ذهبية ببلدة كانوب (بجوار أبي قير) باسم بطليموس الثالث منقوشاً عليها أنه أهدى هو وزوجته برنيكا المعبد للإلـه أزوريس . فالمقصود هنا أن الاهداء ينصب على ما أضيف بمعرفتهما بهذا المعبد . وتوجد إحدى هذه الألواح بالمتحف البريطاني بلندن .

مما تقدَّم نستطيع القول بأن بطليموس الأول لا الثالث أنشأ سرابيوم الاسكندرية [٣]

(١) سرابيوم منف عبارة عن هياكل متصلة بمحاريب لدفن ما يموت من عجول آبيس وكانت توضع جثث العجول في توابيت وتدفن بهذه المحاريب . وكانت وفاة العجل آبيس تعتبر حادثاً تهتز له البلاد كلها وعند ما يكون العجل أبيس على قيد الحياة كان يعيش في مكان بجوار هيكل بتاح على مسافة أربعة أميال تقريباً داخل بقعة منزوعة من الوادي تدعى « آبيوم »

وعلاقة الاله بتاح بالعجل آبيس هو أن المصريين في عصر الدولة الحديثة كانوا يعتقدون أن روح الاله بتاح قد تقمصت العجل آبيس

(٢) وفوق أهمية ما شيده بطليموس الاول في سرابيوم منف من الوجهة الدينية تقوم له أهميـة فنية إذ انه أول بناء في مصر معروف حتى الآن ظهرت فيه الاعمدة اليونانية المسماة « كورنتي »

(٣) وقد وصلت درجة عبـادة الاله سرابيس الى حد جعـل جميع المصريين يعبدونه ، وكذلك يونانيو مصر إذ أصبح إله الدولة . وفي المسائل القضائية ذكر اسمه في القسم

كما أن عبادته انتشرت من الاسكندرية الى البلاد الاغريقية ثم فيما بعد الى الدولة الرومانية .

مصر العتيقة

منذ عصر الملك مينا الى عصر الفاروق

والحصن الروماني

تقع مصر العتيقة على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة ابتداءً من فم الخليج « رأس الدلتا » ، وكان يطلق عليها في العصور الفرعونية اسم « خِري عَحا » أي ميدان الحرب ، ذلك لأنه نشبت بالقرب منها حروب بين أهل الشمال « الوجه البحري » وبين أهل الجنوب « الوجه القبلي »[1] وربما أطلق عليها اسم « كمت » أي « الارض السوداء » لخصوبة تربتها . وكان يطلق هذا الاسم « كمت » على القطر عامة ، كما هو الحال حين يطلق الآن اسم مصر ويراد به « القاهرة » ، أو حين يطلق ويراد به على التعميم القطر المصري ، إلا أن تسمية « خِري عَحا » أصبحت أكثر شيوعاً وانتشاراً من التسمية الثانية حتى عصر البطالمة . فعلى سبيل المثال نذكر أن نصوص عصر الوحدة الأولى « الدولة القديمة » المكتوبة على حجر بالرمو ذكرت عند الكلام على الملك « نفرايركارع » نحو سنة ٢٧٣٠ قبل الميلاد كلمة « خِري عَحا » ، كما ذكرت أيضاً في نصوص الأهرام في فقرة (١٣٥٠) ، وكذلك في عصر الوحدة الثانية « الدولة الوسطى » وعصر الوحدة الثالثة « الدولة الحديثة » في النصوص المكتوبة على لوحة أبي الهول ، وفي مقبرة الملك « سيتي الأول » ، وفي العصور المتأخرة

(١) ولتخليد ذكرى هذه الموقعة التي كانت خيراً وبركة على سكان وادي النيل وشعب مصر نقيت هذه التسمية « ميدان الحرب » حية حتى عصر البطالمة والفضل في ذلك يرجع الى العقيدة القائلة بأن تلك المعركة التي دارت رحاها في هذا المكان انما هي معركة بين اله مصر العليا (حورس) واله مصر السفلى (ست) وانتصار الاله (حورس) على الاله (ست)

بلوحة « بعنخى » عند التنويه بأنه زار هذه البلدة في طريقه من منف إلى عين شمس .

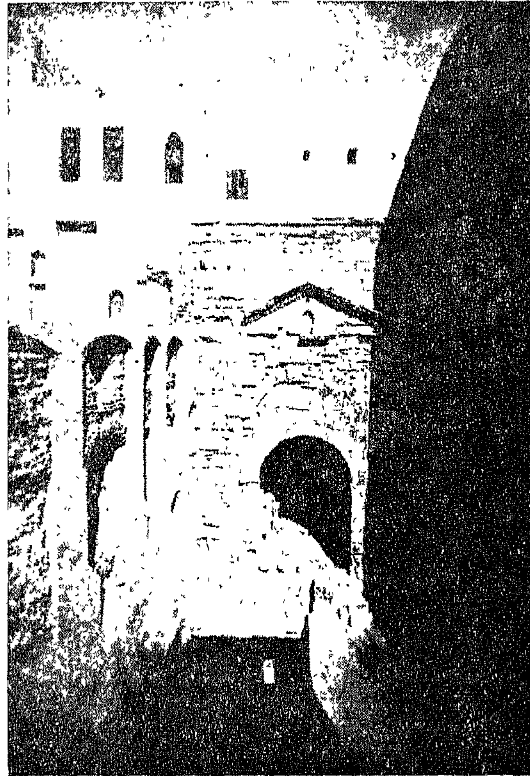
وقبل أن تصبح مصر ولاية رومانية عبّر عن« مصر العتيقة » باسم « بابليون مصر » كما هو وارد في النصوص اليونانيـة والقبطية ، وهي تسمية أكادية « أشورية » بمعنى « باب الله » أي دار أمان ، واتخذت فيما بعد عاصمة للرومان . وهناك من يرى ان معنى هذه التسمية « باب عين شمس » .

أما بعد الفتح العربي فقد أطلق عليها اسم « الفسطاط » . وكان قصد الرومان والعرب ومن قبلهم من هذه التسمية واحداً ، كما أن بعض الكتّـاب العرب أطلقوا عليها اسم « قصر الشمع » ، وهي تسميـة محرفة عن كلمة « كمت » إحدى التسميتين الفرعونيتين مضافاً إليها كلمة « قصر » ومن الجائز أن تكون لفظة « قصر » أطلقت على بناء داخل الحصن ، إذ هي للقصر أقرب منها للحصن ، وسميت بعد ذلك حتى وقتنا هذا باسم « مصر العتيقة » . ويستنتج من اختلاف هـذه الأسماء لتلك المنطقة أن أدواراً تاريخية متشابهة قد مرّت بها . وبالرغم من كثرة العصور التي مرّت بها واستدعت إعادة تشييدها ، نظراً لتتابع الحروب في فترات مختلفة . فإن موقعهـا الجغرافي الحالي يكاد يكون في موقعها الأصلي منذ العصر الأول مع امتداد الى جهة الشمال .

* * *

كانت « مصر العتيقـة » في أغلب العصور المتقدمة عاصمة البلاد ولا تزال ، إذ أن القاهرة عاصمة الملك الحالية تقع شماليها ، كما أن سراي القبة الحالية التي اختيرت في العهد الحاضر مقرًّا للملك تقع أيضاً في شمال القاهرة وكذلك مصر العتيقة تقع شمالي مدينة « إنبو حدج » (الجدار الأبيض أو منف) العاصمة الفرعونيـة الأولى لمصر حينما وُحِّدت في عهد الملك مينا « نعرمر » حوالي سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد . ويرجع السبب في اختيار « مصر العتيقة » عاصمة للبلاد وقوعها عند رأس الدلتا ، ولأنها تقع أيضاً عند أول الصحراء الشرقية ، ولها من هـذه الناحية سيطرة حربية ، كما أنها تقع على النيل ، فهي ميناء نهريٌّ عظيم استخدم ولا يزال يستخدم في نقل الحبوب وغيرها . وكان السفر منها الى جهات القطر المصري شمالاً وجنوباً سهلاً يساعد الحكومات على الإشراف الإداري مساعدة جديّـة فعالة ، فهي لذلك مركز هامٌّ من الوجهة البحرية سواء التجارية منها أو الحربية .

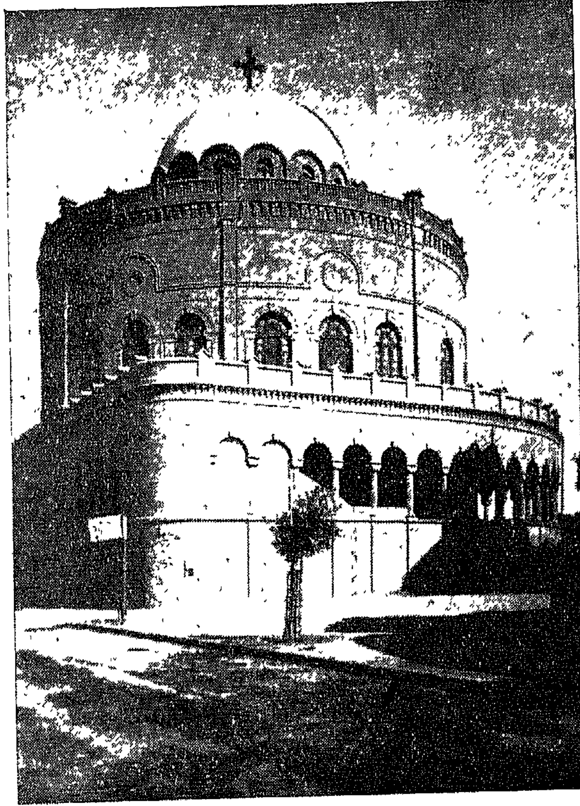
وقد كانت هذه المنطقة في جميع العصور موضع اهتمام الحكام والملوك . وأهم ما بقى فيها من مخلفات تلك العصور هو :



شكل ١ : الباب القبلي بين البرجين الجنوبيين
(عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الاول إلى المتحف القبطي)

أولاً : حصن بابليون — شيده الفرس في عهد « قمبيز » وجدَّده الرومان وجعلوه رمزاً لحضارتهم ، ثم أضافوا إليه تعديلات في عهد الامبراطور « أغسطس » ثم « تراجان » من بعده ثم من خلفهما من الأباطرة حيث رابطت فيه حامية كان الغرض منها تحقيق الهدف الحربي والسيادة التجارية ، ولا سيما أنه قد مرَّ أكثر من أربعمائة عام من تأسيسه وهو باقٍ دون صيانة أو عناية بأمره . وذلك نتيجة انتقال العاصمة المصرية الى الوجه البحري ، ثم من هذه المنطقة الى الاسكندرية في عهد الإسكندر الأكبر ومَن خلفه من البطالمة ،

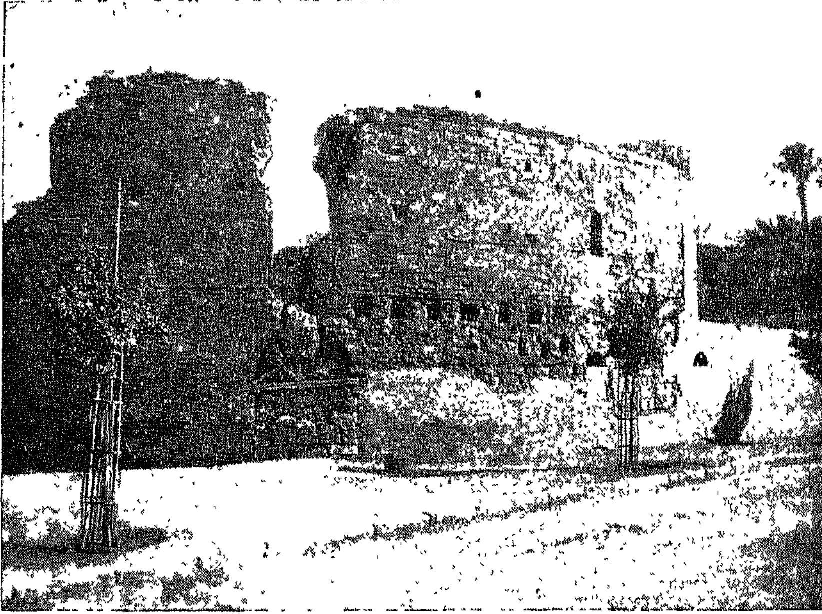
عدا ما استتبع ذلك من تهدم بعض أجزاء منه ، مما جعله في حاجة الى الترميم والإصلاح .
وعلى الرغم من أن بعض العلماء قد خالفوا هـذا الرأي . وقالوا بأن تراجان هو الذي أنشأ هذا الحصن في القرن الثاني الميـلادي فإنا لا نميل الى الأخذ بهذا القول ، ذلك بأن الحقيقة الثابتة تدل على أن ديودور الصقلي عندما كتب تاريخه عن مصر حوالي سنة ٥٠ قبل الميلاد



شكل ٢ : البرج القائمة عليه كنيسة مارجرجس
(عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الاول إلى المتحف القبطي تبين حالة الحصن قبل ترميمه)

ذكر «بابليون» ، كما أن إسترابون الاغريقي عند ما زار مصر سنة ٢٥ ق . م. أي قبل عهد تراجان بما يقرب من مائتـين وثلاثين عاماً قال إنه « رأى في عين شمس المنازل العظيمـة التي كان يسكنها الـكهنة الذين درسوا الفلسفة والفلك، وإن من يسير الى عين شمس في النيل متجهاً الى الجنوب يصل إلى بابليون وهو موقع حصين » .

ولا نزال نرى بعض أبراج هذا الحصن حول جدران مباني المتحف القبطي ، فاذا ما تأملنا جدرانه الظاهرة من الخارج تبين لنا أنها على نمط البناء الروماني العادي وأنها ذات خمسة مداميك من الحجر الجيري الابيض يتلوها ثلاثة مداميك من الطوب الأحمر . وأغلب أحجار هذا النوع مأخوذ من مبانٍ فرعونية لم تزل على بعضها نقوش هيروغليفية.



شكل ٣ : البرج الغربي القائم في حديقة المتحف القبطي
(عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الاول إلى المتحف القبطي تبين حالة البرج قبل ترميمه)

ونرى أحد الجدران من الجنوب « الجهة القبلية » عبارة عن برجين كبيرين مستديرين يبلغ ارتفاع كل منهما نحو عشرين متراً ، وبينهما أحد أبواب الحصن (شكل ١) ، وعلى أحد هذين البرجين « كنيسة المعلقة الأثرية » . واكتشف في أطلال هذين البرجين نسرٌ رومانيٌّ ناشرٌ جناحيه .

وفي الجهة الغربية برجان آخران كبيران بينهما مدخل المتحف القبطي ، وأحد هذين البرجين مشغول بكنيسة مار جرجس الروماني (شكل ٢) . والآخر في حديقة المتحف (شكل ٣) . والأمل كبير في أن تظهر الحفائر المقبلة كشف بوّابة تربط بين البرجين على

رصيف الميناء النهري القديم إذ أن النيل قديماً كان يمرّ بجوار جدران هذا الجزء من الحصن . وكانت منطقة الحصن على ضفة النيل حتى تأسيس الفسطاط .

كل هذا يدل دلالة واضحة على ما كان عليه هذا الحصن من مناعة تفوق مناعة الحصون التي شادها العلم الحديث ، وعلى دقة بناء هذا الحصن ، فقد بقي حافظاً شكله القديم مع أنه مرّ ما يربي على ألفي سنة على بنائه الذي تبلغ مساحته حوالي ٦٠ فداناً .

ثانياً : الكنائس الأثرية — وهذه الكنائس التي داخل الحصن الروماني هي : المعلقة ، وأبو سرجة ، وقصرية الريحان ، ومار جرجس المصري ، ومار جرجس الروماني ، وأنبا شنوده ، ومار مينا ، والست بربارة .

ثالثاً : جامع عمرو — وهو أقدم جامع بني بالديار المصرية أسسه عمرو بن العاص عقب افتتاح العرب لمصر ، نحو سنة ٦٤٠ ميلادية أي بعد استيلائهم على الحصن الروماني ، وقد محت الإصلاحات الكثيرة التي أجريت بالجامع قبل عهد صلاح الدين ، كثيراً من المباني الأولى التي كان يتألف منها الجامع في عهد عمرو بن العاص . وقد تجلى في هذا الجامع فن العمارة والتصميم في العصور التالية لعهده .



الأثر الدنيوي

في الفن القبطي

من الأمور المتفق عليها حتى العصر الحاضر بين علماء الآثار والمؤرخين أن الفن القبطي إنما هو فنٌّ دينيٌّ مسيحيٌّ محضٌ يعبر عن فن الأديرة والكنائس ، مؤثراته دينية ، كما أن أغراضه دينية أيضاً ، بمعنى أنه لم يتأثر بمؤثرات دنيوية ، وإنه لم يرم الى أغراض دنيوية (مدنية) .

ويبدأ هذا الفن القبطي أو الفنّ البيزنطي في نظر هؤلاء العلماء منذ سنة ٣٩٥ ميلادية وقت أن أصبحت الديانة المسيحية ديناً رسميّـاً لمصر ، ويستمر حتى سنة ٦٤٠ ميلادية ، وهو وقت دخول العرب مصر .

ولكن إذا رجعنا إلى أصل كلمة قبطي وجدنا أنها في معناها ترادف كلمة مصري سواء بسواء ، بمعنى أن جميع سكان وادي النيل كان يطلق عليهم قبل غزو الإسكندر الأكبر لمصر بمدة طويلة اللفظ اليوناني « ايجبتيوس »[1] الذي حُرِّف بعد ذلك الى لفظ قبطي .

وهذا يقطع بأن كلمة قبطي لا علاقة لها إطلاقاً بالنزعة الدينية ، بل كان لفظها يستعمل قبل دخول المسيحية مصر وفي عهد المسيحية وبعدها .

نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن الفن القبطي كان فنّـاً مصريّـاً قبل أن يكون فنّـاً دينيّـاً كما هو الرأي الشائع حتى الآن .

وبمجرد إعادة النظر في الآثار القبطية الموجودة بالمتحف القبطي ، وفي باقي المتاحف المصرية ، وكذلك في مختلف متاحف أوربا وأمريكا ، وفي الأسباب التي استند عليها العلماء في رأيهم السابق ، وفي ما قام به العلماء من حفريات — يدلنا على إنهم مخطئون فيما يذهبون إليه ، فقد خضع الفن القبطي كغيره من سائر الفنون لمؤثرات البيئة التي نشأ فيها وهذه

(١) وبقي لفظ Egypt في اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية والايطالية اسماً لمصرنا العزيزة حتى اليوم

المؤثرات منها ما هو ديني ومنها ما هو دنيوي ، وهو ترجمان صادق للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمن وما قبلها وما بعدها .

فمثلاً وجد في كثير من المقابر والمباني المدنية آثار بغيضة الى الدين المسيحي والمتدينين به ، فالمتحف القبطي زاخر بصور العراة وبأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط وحلى السيدات من ذلك الخلاخيل والأساور المحلاة برأس الثعبان (وهي العادة الفرعونية القديمة والمنتشرة حتى الآن) وما الى الخلاخيل من العقود والخواتم التي على شكل زهرة اللوتس أو المحلاة بعلامة إيب الفرعونية (أي القلب) والحلقان الذهبية التي على شكل عنقود العنب ، والثياب المدنية المزركشة والمزخرفة بزخرفة فرعونية كالعجل المجنح أو علامة عنخ الفرعونية (أي الحياة) وهي بلا شك من آثار الحضارة المصرية الفرعونية .

كذلك ترك لنا الفن القبطي آثاراً منزلية كثيرة عليها بعض مناظر لأشخاص عراة أو لراقصين أو راقصات ، كما أن بعضها يشبه ما وجد في مقابر الفراعنة كالأواني الفخارية أو بعض الأواني المعدنية ، كالاناء الذي يشابه العلامة الفرعونية (حسى) أي ممدوح ، أو الملعقة الصدفية التي لها يد من حديد وتنتهي بشوكة وتشبه في شكلها تلك التي وجدت أخيراً في حفائر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم بجهة حلوان وهي مصنوعة من العاج ويرجع تاريخها الى أوائل عصر وحدة مصر الأولى تحت عرش ملك واحد .

كما أن البعض الآخر من الآثار القبطية عليه مناظر نيل مصر ، من طيور ، وأسماك أو نبات البردي ، أو التمساح أو المراكب ، والنيل بلا شك قوام حياة مصر في كل عصورها ، ولا علاقة لكل هذا بالدين المسيحي لا من قريب أو بعيد .

كما أن هناك آثاراً عديدة من العصر القبطي لمصريين لم تكن المسيحية ديانتهم . وقد استوحى هذا الفريق من المصريين الذين لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد في فنهم مؤثرات غير مسيحية ، وهذا يدل على أن الفن القبطي كان فناً مشتركاً بين المسيحيين وغير المسيحيين من المصريين .

زد على ذلك أن على كثير من المباني رسوماً حيوانية كصيد الأسد أو الغزال أو الطيور أو مناظر لبعض نباتات مصر كالنخيل واللوتس والبردي والرمان . وان أصل الكثير من

هذه الرسوم يرجع إلى مصر الفرعونية ، ويبين استمرار وحـدة الفن المصري في عصوره المختلفة .

وفوق هـذا عثر المنقبون على آثار قبطية هي عبـارة عن أدوات زراعيـة كالفأس والشرشرة — ومصر بلاد زراعية — أو أدوات طبيـة ، كالمرود والسكين والمقبض ، أو أدوات الـكيل ، والوزن ، أو أدوات الـكتابة ، أو أدوات الطهي ، أو أدوات النسيج ، والـكثير منها يرجع في أصله الى مصر الفرعونية .

ولا داعي للقول بأن كل هذه الأشياء لا تمتُّ الى الدين المسيحي بأي صلة ممـا يؤيد الرأي الذي نقول به ، وهو أن الفن القبطي تأثر بمؤثرات دنيوية (مدنيـة) فوق تأثره بالمؤثرات الدينية المعروفة ، فالفن في كل عصر وفي كل بلد إنما هو ترجمان للحيـاة في شتى نواحيها

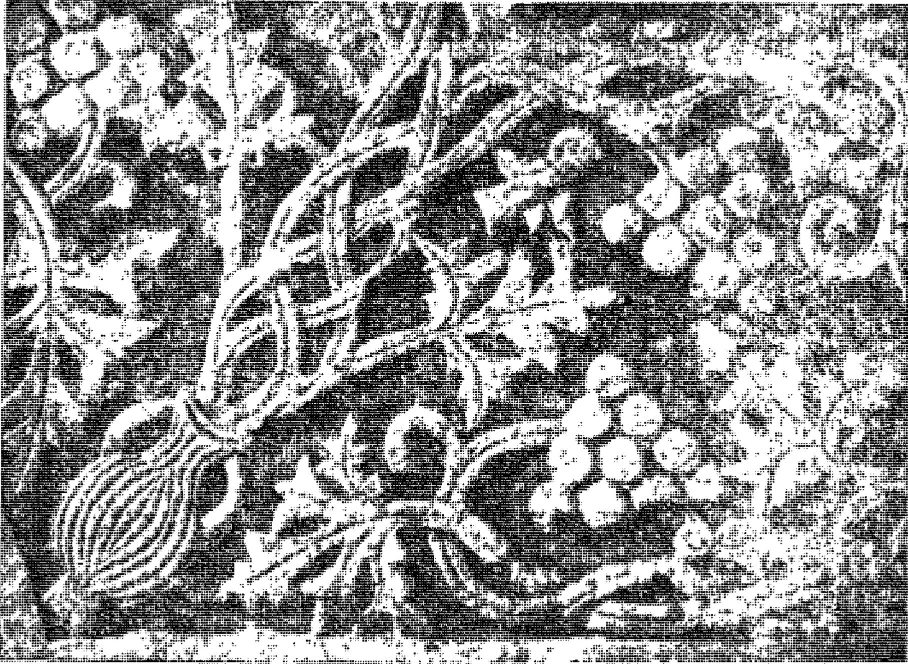
ويرجع كثير من الرسوم الجصية التي كانت تزين بها بعض المباني القبطية في أصلها الى نقوش فرعونية أو زينة فرعونية ، بل إنها كانت تصنع بنفس الطريقة الفرعونية . وكذلك كان التصوير بالألوان على لوحات المومياء يرجع الى تطوُّر العادات المصرية الفرعونية .

وهناك كثير من الرسوم التي وجدها العلماء مرسومة على قطع من القماش تعبر في مرماها عن أشياء لا تمت للدين بصلة ما، رغم أنها رسمت بعد أن أصبحت المسيحية ديناً رسميًّـا للدولة الامبراطورية الرومانية التي كانت مصر في القرن الرابع الميلادي إحدى أجزائها .

وممـا يقطع بصحة رأينا تلك الرسوم الـكثيرة التي وجدها العلمـاء على جدران بعض الـكنائس والأديرة التي لا علاقة لها بالدين اطلاقاً ، وإنما هي ترمز الى صور من الحياة المادية . فمثلاً : ما علاقة عصفور يأكل عنباً (صورة رقم ١) أو صور أشجـار وفواكه وأزهار أو صور هندسية بالدين ؟

بل من الطريف أن القبطي لم تفته روح الدعابة والمرح التى ورثهـا عن أجداده قدماء المصريين ، إذ ضمن رسومه حكماً وأمثالاً كانت متداولة في مصر الفرعونية، ولا زال بعضها مضرب الأمثال حتى وقتنا الحاضر . مثال ذلك: لعبة القط والفار المرسومة على جدران أحد مباني باويط .

وإذا ذهبنا مع هؤلاء العلماء مذهباً بعيداً لوجب القول بأن الفن القبطي (الفن البيزنطي في نظرهم) وجد معاصراً للعصر المسيحي بمعنى أنه لم يوجد قبل هذا العصر ما يسمى فنًّا قبطيًّا .



صورة رقم ١ (تصوير المتحف القبطي)

ولكن اذا عرفنا أن الفنون التي نمت وازدهرت في أنحاء مصر أثناء الحكم اليوناني الروماني ، أثرت في الفن اليوناني الروماني نفسه ، وقد قلد اليونان والرومان في عمائرهم الكثير من أساليب العمارة الفرعونية وزخرفتها ، وجب أن نخرج بنتيجة وهي أن الفن القبطي وجد قبل ظهور المسيحية بزمن طويل نستطيع تحديده نوعاً بدخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري والفن القبطي الفرعوني كما يجب أن نسميهما .

فقد ثبت انه كان للمصريين في العصر السابق للمسيحية فن مجيد ونهضة فنيّة رائعة رن صداها في كافة الأرجاء ، وتأثرت بها سائر البلدان المجاورة .

ولا يمكننا بحال من الاحوال أن نوافق على رأي العلماء من أن الفن الذي ظهر في مصر في هذا العصر كان فنًّا يونانيًّا رومانيًّا فحسب ، أو نوافق على رأي الفريق الآخر من أن الفن الهيلينستي وهو المزيج من اليوناني المتأخر ، وفن بعض الشعوب الشرقية كفارس وسوريا وبابل هو الذي ساد في هذا العصر في مصر .

واننا لا ننكر ان الفن اليوناني الروماني أثر بدوره في الفن القبطي المصري ولكن هذه الظاهرة ظاهرة تأثر الفنون المعاصرة لافن المصري على الفن المصري نجدها في الفن الفرعوني إذ تأثر الفن الفرعوني في عصر الوحدة الثالثة بالفنون الاجنبية المعاصرة له .



٢ — صيد الأسد (تصوير المتحف القبطي)

وهذا لم يخرج الفن المصري عن صفته الفرعونية كذلك الفن القبطي لم يتأثر بالفنون المعاصرة له تأثيراً يجعلنا أن نطلق عليه « بيزنطي » .

بل كان يوجد معاصراً للفن القبطي المصري فن يوناني روماني في أرض مصر الطبقة

الحاكمة وجاليتها وهي يونانية ثم رومانية بطبيعة الحال ولا يدعو كل ذلك الى ضم هذا الفن (أقصد فنهم اليوناني الروماني) الى الفن القبطي لأن الفن اليوناني الروماني فن قائم بذاته وعلى هذا الأساس لا أضم كثير من الآثار المعروضة في المتحف القبطي الى الفن القبطي على سبيل المثال الآثار التي عليها قصة ليدا أو شكل القنطور أما الفن القبطي العربي فقد تأثر ببعض التوجيهات التي أتى بها العرب منذ سنة ٦٤١ ميلادية .

والآن وقد سقنا هذه الأمثلة العديدة والأدلة التي بيناها نستطيع أنْ نؤكد بأن الفن القبطي ليس كما يقول العلماء فنًّا دينيًّا مسيحيًّا محضاً ، وانما هو فن مصري له مؤثراته وأغراضه الدنيوية ، كما أن له أغراضاً ومؤثرات دينية .

ومما يعزز قولنا هو تفرع اللغة القبطية الى لهجات منها : اللهجة البحيرية ، والصعيدية ، والأخميمية ، والفيومية ، التي تدل دلالة واضحة على التطور الاقليمي للغة المصرية القديمة .

ولم تؤثر اللغة اليونانية على القبطية الا من حيث بعض حروف الهجاء وبعض المفردات الدخيلة . وظاهرة دخول كلمات أجنبية في اللغة المصرية القديمة نجدها أيضاً في عصر وحدة مصر الثالثة وهذا لم يخرج اللغة عن صفتها المصرية .



أدوات زينة المرأة
في العصر القبطي

ذكرنا أنّ الفن القبطي قام قبل ظهور المسيحية بزمن طويل نستطيع إلى حدّ ما تحديده بعصر دخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري . والفن القبطي الفرعوني ، أمّا الفن القبطي العربي فيبدأ بعد دخول العرب مصر .

ومن الخطأ أن يتصور المرء أن المصريين الأقباط لم يحفلوا بالعناية بجمال المرأة .

والجمال في المرأة ينقسم الى قسمين أساسيين :

أولاً — الجمال الحسي وهو جمال الوجه والبدن أو بعبارة أخرى الجمال الجسدي .

ثانياً — الجمال المعنوي وهو جمال الروح والعقل أو الجمال الروحي وكل منهما يبعث في نفس الرجل الإعجاب والاستحسان ، فالأول طريقه الحواس ، والثاني طريقه الشعور الباطن .

وموضوع هذا البحث يتعلق بالقسم الأول وهو الجمال الحسي وكان يرتكز على أربع دعامات أساسية لتكوين قوّة موحدة كاملة تستطيع أن تمتلك جميع الحواس .

فالدعامة الأولى : هي تزيين الوجه ، وتجميل الشعر .

والدعامة الثانية : هي تزيين الصدر .

والدعامة الثالثة : هي أدوات الزينة لليد والأصابع والقدم .

والدعامة الرابعة : هي استعمال الملابس المزركشة الألوان .

فالمرأة القبطية بالجمال غرام فكيف كانت تتجمل . وما هي الأشياء التي تزين بها وجهها وبدنها أو ما هي أدوات زينة المرأة في العصر القبطي ؟

فكرت المرأة القبطية في تزيين وجهها فاستعملت « الأثمد » الكحل لعينيها وغرام

القبطيات بالكحل يدل عليه ذلك العدد الوفير من المكاحل ، فعلى سبيل المثال مكحلة رقم ٥٨٤٣ بالمتحف القبطي وهي على شكل عمود ومصنوعة من البرنز أو مكحلة رقم ٥٨٥٤ بالمتحف القبطي وهي على شكل إناء صغير ومصنوعة من الزجاج ويرجع تاريخهما الى القرن الرابع الميلادي .

ومع بعد هذا العصر لا زال الى يومنا هذا تستعمل بعض القرويات المصريات هذه المكاحل بعينها .

كذلك استعملت المرأة القبطية الأمشاط ودبابيس الشعر لتجميل الشعر فعلى سبيل المثال مشط رقم ٥٦٦١ بالمتحف القبطي المصنوع من العاج ومنقوش عليه صورة بديعة تمثل حسناء متكأة على سرير تحته كلب وبجانب السرير خادمة تحمل طفلاً ، ولا يمكن لعقل رجيح الحكم بأن هذا المشط وما عليه من نقش يشير إلى شيء من الدين مطلقاً مع أنّ تاريخه يرجع الى القرن الرابع الميلادي أي بعد المسيحية بما يقرب من أربع قرون . ثمّ لدينا مشط آخر رقم ٥٦٥٥ بالمتحف القبطي يرجع تاريخه الى القرن الرابع الميلادي ومصنوع من العاج أيضاً ومنقوش عليه رسم يمثل وقوف السيد المسيح على قبر اليعازر . فهنا الصورة دينية ولكنها وضعت على مشط والمشط ليس من الدين بشيء ، وإنما من أدوات الزينة الدنيوية . ورغماً من أن هذا المشط وسابقه من أواخر القرن الرابع للميلاد إلاّ أنهما يشبهان كل الشبه أمشاط عصور مصر الفرعونية ، بل ومشط اليوم المعروف عند العامة « الفلاّية » .

وكذلك عثر المنقبون على أقراط تعلق في الأذن بعضها على شكل مستدير أو بيضاوي إلى غير ذلك من مختلف الأشكال ، ويتدلى من بعضها سلاسل على شكل حبات من الخرز ، وقد وجد منها الأستاذ احمد فخري في حفائر مصلحة الآثار المصرية جهة الواحات البحرية ، أقراط على شكل عنقود عنب ومؤرخة في القرن الرابع الميلادي ومصنوعة من الذهب .

فلم يتخذ بعض العلماء من عنقود العنب في الفن القبطي دليلاً أو برهاناً على المسيحية في الفن ، حقّاً قال المسيح « أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام » وشبه المؤمنين بالأغصان ومارس العشاء السري (الأنخارستيا) بعصير العنب، وضرب مثل الكرم والكرامين ولكن معروف أن الله ضرب مثلاً كهذا لشعب اسرائيل قديماً (سفر أشعياء : الاصحاح ٥) فبالله

عليكم قولوا أية علاقة توجد بين قرط تزدان به الأذن وبين المسيحية ، وقد وجد مثل هذا الرسم في أقراط من عهد الفراعنة أي قبل المسيحية بآلاف من السنين ، أليس العنب كثيراً في بلادنا في العصور الفرعونية والقبطية والعربية والحاضرة ، ومن أبدع الزخارف شكلاً ؟!

ونحن إذا مررنا بحجرات المتحف القبطي رقم ١٣ ، ١٥ لوجدنا مجموعات مختلفة من أدوات زينة الصدر كالعقود على أشكال متنوعة ومصنوعة من مختلف المعادن والأحجار ومنها ما يشابه عقود مصر الفرعونية من بعض نواحي الشكل .

هذا من جهة الدعامة الأولى والثانية. أما الدعامة الثالثة وهي أدوات الزينة لليد والأصابع والقدم أي الأساور والخواتم والخلاخيل الى غير ذلك فقد وجدت مجموعات متعددة بعضها من ذهب أو فضة، وغيرها من عاج أو عظم الى غير ذلك من مختلف الأنواع والأشكال وهي لا تخالف ما يماثلها من آثار العصر الفرعوني وما يماثلها من أدوات زينة العصر الحاضر في شيء يذكر .

والدعامة الأخيرة فيكفي ما يلاحظ من زركشة في الملابس المعروضة بالمتحف القبطي وبعض نقوش مرسومة على الصناديق المصنوعة من العاج الملون في حجرة رقم ١٣ بالمتحف القبطي لسيدات أنيقات تمسك إحداهن مرآة في يدها .

أضف الى تلك الدعامات أوانٍ كثيرة للمواد العطرية موجودة بالمتحف القبطي ويرجع تاريخها الى القرنين الخامس والسادس . مما تقدم يستنتج أن الزينة الجسدية وأدواتها بأشكالها المختلفة وأنواعها المتعددة هي لمحض الجسد ولا علاقة لها بالدين وفي هذا دليل قاطع على أن الفن القبطي ليس خلواً من الأثر الدنيوي .



الفصل الخامس

بحوث أدبية

١ — روائع الأدب المصري القديم

٢ — اللغة القبطية

روائع الادب
المصري القديم

المصريون من أقدم أمم الأرض عراقة في المجد ورسوخاً في المدنية . فقد استوطنوا وادي النيل قبل ميلاد المسيح بما لا يقل عن ثمانية آلاف سنة تقريباً ، وأقاموا الحضارة العظيمة التي بهرت أنظار العالم القديم وظلت مزدهرة حقباً طويلة من الزمن .

وان آثارها الباقية حتى اليوم من أقدم المخلفات التي تركها الانسان الأول وليس من شك في أن المصري القديم قد صاغ تراثه الفكري في المؤلفات الادبية بأسلوب جميل لا يدانيه ما ورثه أي شعب آخر من أسلافه .

ومن المؤلفات الأدبية الفرعونية ما يتصل بالآداب الدينية ، ومنها ما يتصل بالآداب الدنيوية . وسأقصر كلامي على دراسة الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة وعلى بعض عصور تفكك الوحدة .

كانت الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة تقوم إما على نوع من الأدب العلمي الذي وصل إلينا في شكل حكم أو أمثال ، وإما على نوع آخر يعرف بالغزل ، وإما على نوع ثالث يعرف بالأدب القصصي .

فمن أنواع الأدب العلمي الذي وصل إلينا كالحكم والأمثال تعاليم الوزير بتاح حتب والوزير كاجمني من عصر الوحدة الاولى ، وكتعاليم آني وإمن — إم — اوبي من عصر الوحدة الثالثة . وأما من عصر الوحدة الثانية فلدينا حكم وتعاليم من الملك امنمحات الأول لولي عهده سنوسرت .

وهي كلها تعاليم موجهة للشباب في قالب نصائح إلى أبناء الكتّاب السابقي الذكر ، لتقويم أخلاقهم ودعوتهم للفضيلة وعمل الخير وحسن السلوك . وهاك مقتطفات من روائع تلك التعاليم : —

أولاً — التمسك بالصدق

« إذا كنت قائداً آمراً فاسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص في طبيعتك فإن الصدق جميل وقيمته خالدة — بتاح حتب »

« إن السكين ترهف لمن يحيد عن الصدق — كاجمني »

« قل الحق أمام القاضي — إمن — إم — اوبي »

ثانياً — أدب السلوك في الضيافة

« إذا هيء لك الجلوس على مائدة من هو أكبر منك مقاماً فخذ ما يقدم لك مما هو أمامك ولا تنظرن الى ما وضع أمامه ، بل انظر الى ما وضع أمامك — بتاح حتب »

« إذا جلست مع أناس كثيرين فانظر الى الطعام في غير شره أو اهتمام حتى وان كنت تشتهيه،فان ضبط النفس لا يكلف الانسان أكثر من لحظة،وانه لمن العار أن يكون الانسان شرهاً فقدح ماء يروي الغلّة — كاجمني »

ثالثاً — التحذير من النساء

« إذا أردت ان تحتفظ بالصداقة لسيد أو أخ أو صاحب دخلت داره فاحذر الدنوّ من النساء فآلاف من الرجال ذهبوا ضحيتها — بتاح حتب»

« هل حدث أن النساء اصطففنَ في ميدان الحرب ؟ — امنمحات»

« خذ حذرك من المرأة الأجنبيـة تلك التي ليست معروفة في بلدتها ولا تغمزن لهـا بعينك — آني »

رابعاً — الحث على الزواج

« هيء لنفسك داراً واحبب زوجتك واجلب لها الطعام واستر ظهرها وقدم لها العطور وابعث السرور في قلبها طيلة حياتك فهي حقل نافع لزوجها — بتاح حتب »

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب لك ولداً ، ويجب ان تنجبه لك وأنت لا تزال صغير السن . فما أسعد الرجل الكثير النسل ، فانه يحترم بسبب أولاده — آني »

خامساً — التحرّي عن أخلاق الأصدقاء

« إذا كنت تبحث عن أخـلاق من تريد مصاحبته فلا تسأله ولـكن اقترب منه وكن معه وامتحن قلبـه بالحادثة ، فاذا أفشى شيئاً قد رآه أو أتى أمراً يجملك تخجل له فاحذر عندئذٍ حتى من أن تجيبه — بتاح حتب » .

سادساً — الولاء للعرش

« إن الولد النجيب يقيم الحق وسيكون الملك مرتاحاً لك في كل ما يجري فقد بلغت العاشرة بعـد المائة وحباني الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأني أقمت العدل للملك — بتاح حتب » .

سابعاً — سلوك الرئيس نحو مرءوسيه

« خذ الحذر من مرءوسيك ولا تثقنّ بأخ ولا تصطفينّ لك خلاناً لأنّ ذلك لا فائدة منه وعند ما تكون نائماً كن الحارس لنفسك — امنمحات » .

ومما خلفته مصر غير الأدب العلمي الذي يبين مقدار تقدم التفـكير البشري في هـذه العصور السحيقة وما يقوم به من جهد في الفـكر بجانب غزارة المادة العلمية فاننا نجد نوعاً آخر من الأدب يعرف بالغزل وقد رأينا عند الـكلام على الموسيقى كيف أن الشاعر يصف في خياله الرائع انه كان مريضاً وعنـد ما استدعي الطبيب لعيادته جاءت حبيبته فزجرت الطبيب لأنها أعلم بداء حبيبها ودوائه .

هذا فضلاً عن نوع ثالث من الأدب يعرف بالأدب القصصي يمتـاز بالوصف والخيال وتصوير البلاد النائية كسوريا وبلاد البنت (الصومال) التي قام الـكتّـاب برحلاتهم إليها . وهاك مقتطفات من هذا الأدب على سبيل المثال لا الحصر :

❊ قصة الغريق ❊ — يرجع تاريخها الى عصر الوحدة الثانية ، أراد كاتب هذه القصة أن يصوّر البلاد النائية التي كان يرتحل اليها وما فيها من عجائب فيقص انه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الغنية بمعادنها ليؤدي رسالة ملكية، وحدث أن هبت عاصفة حطمت السفينة وغرقت بمن فيها ولم ينج إلاّ كاتب القصة بعد أن لاقى من الأهوال في بادىء أمره

ما لاقى حتى حملته الأمواج الى جزيرة فيها من عجائب المخلوقات ثعبان كبير له رأس إنسان .

ثمّ ذكر على لسان ذلك الثعبان أنه أخذ يقص له مجازفة حدثت له وتشبه مجازفة كاتب هذه القصة بعد ان استقبله أحسن استقبال ويقول أنّ سفينة مصرية مرت بالجزيرة وحملته إلى أرض الوطن بخير وسلام .

وبخلاف المظاهر التي امتاز بها الأدب في عصور الوحدة من حكم وأمثال إلى غزل وقصص ، نلاحظ أنّ نجاح سياسة ملوك عصور وحدة مصر ، ووحدة وادي النيل لم يؤثر فحسب في حياة البلاد الاقتصادية وزيادة الرخاء ، بل نجد نصوصاً أدبية تتحدث عن ورود الكثير من الخيرات .

ويرجع الفضل في هذا النجاح إلى عناية الملوك بشؤون الدولة وإسناد الوظائف والمراكز الهامة الى أشخاص يتمتعون بثقتهم إلى جانب كفاءتهم الممتازة . ومنهم من يتحدث فيشير إلى أنه كان صديق الملك فاستطاع أن يقوم بالمهام الموكولة إليه على الوجه الأكمل .

وطبيعي أن تبلغ البلاد أوج مجدها في عهود الوحدة بفضل التفاف الشعب حول مليك الوادي ملك مصر، وبفضل جيل الموظفين الذي عمل ملوك الوحدة على تنشئته ليلتف حول عرشهم وليكون لهم نصيراً، فنرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لمليكهم بين ذويهم فيسردون لهم ما أنعم به عليهم فرعون مصر من تقدير ، بل ويشبهون عطفه عليهم بعطف الوالدين، وأكثر من ذلك فقد شبّهوه بالإله على الأرض .

وبينما نرى النصوص الأدبية السالفة الذكر تبين لنا أن قوّة الوطن تكون على أتمها حين يلتفّ شعب الوادي حول عرش ملك مصر ، رمز الوحدة والاتحاد ، والقوة والضمان الأول والأخير لكل مواطن وهو السبيل الى نيل المطالب وبلوغ الآمال، نرى نصوص عصر تفكك الوحدة تبين لنا أن هناك فوضى عامة امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية كما أنّ نصوصاً أخرى من عصر تفكك الوحدة تبين ضياع هيبة مصر في الأقطار الأخرى فليس أدلّ على ما كانت تعانيه مصر في عصر تفكك الوحدة الأولى من فوضى من أن الآثار الأدبية التي أنتجها هذا العصر كانت صدى لتلك الفوضى فتحوي الكثير من الأفكار التي تتمخض عنها عادةً الثورات الاجتماعية والسياسية، ولنذكر مثالاً على ذلك نرى منه مناقشة بين رجل كره

الحياة وبين روحه وهي مكتوبة على بردية محفوظة الآن بمتحف برلين. وقد صور فيها كاتبها رجلاً بائساً مثقلاً بهموم عصره لم يجد غير روحه يشكو اليها مصابه ، فأظهر لها رغبته في أن يضع حدًّا لحياته بأن يحرق نفسه . وقد ألحت روحه في أن يخطو هذه الخطوة ولكنها امتنعت عن مرافقته في الانتحار لأنها خشيت أن يسوء مصيرها مع شخص فقير مثله لا قبر يأويه ، ولا خلف يقدمون له القرابين فتكون النتيجة أنها تصبح مهددة بالجوع والبرد والحر ، ولكن بعد محاولات نجح الرجل في النهاية وأقنع روحه بالاندماج معه عند الموت ثم أحرق نفسه ومات .

وهناك نصوص وصلت الينا في أناشيد شعرية [1] منها : —

« الى من أتكلم اليوم ، الاخوان شرٌّ وأصدقاء اليوم ليسوا محبين

« الى من أتكلم اليوم ، الناس يسرقون وكل انسان يغتصب متاع غيره

« الى من أتكلم اليوم ، اني مثقل بالهموم وفي حاجة إلى صديق وفيّ

« إلى من أتكلم ، الرذيلة تضرب الارض وليس لها نهاية »

وهناك نصوص معروفة بأغاني العواد منها : —

« امض اليوم في سعادة وحبور ، وانظر فلا أحد يستطيع أن يأخذ متاعه معه ، وانظر فليس من يستطيع العودة للحياة ثانية » .

فهذه الجملة الصغيرة تدلنا على ما تطرّق الى المصريين من الشك في تقاليدهم وعقائدهم وحتى في عقيدة الخلود ، كما تدلنا على اتجاه المصري الى التمتع بالحياة المادية .

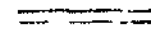
فبينما كانت النصوص السابقة تبين لنا الفوضى التي امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية في عصر تفكك الوحدة الاولى ، نجد أن قصة ونآمون تبين ضياع هيبة مصر في الأقطار الاخرى في عصر تفكك الوحدة الثالثة بعد أن كانت مصر متمتعة بسلطان واسع في عصور الوحدة بين أمم الشرق القديم .

---

(١) يمتاز الشعر بأوزان خاصة .

اللغة القبطية

نشأتها وتطورها



قبل أن نتحدث عن اللغة القبطية — نشأتها وتطورها — يجدر بنا أن نعرض لهذا اللفظ ومدلوله وأصله واشتقاقه لأن البحث عن أصل الكلمة يميط اللثام عن معالم كثيرة تنير الطريق للباحث وتبعده عن الوقوع في الخطأ . فلفظ (قبطي) نسبة الى (قبط) . وهنا نرى ياء النسبة العربية . أما كلمة (قبط) فهي تحريف للفظ اليوناني والروماني الذي أطلقه اليونانيون والرومانيون من بعدهم على مصر والمصريين بعد حذف السابق (أي) واللاحق (وس) وبقيت كلمة — جبط — بالجيم المعطشة التي تنطق عادة (ق) ، لذلك كتبت الكلمة بها أي (قبط) بمعنى مصري . ولا شك في أن يونانية هذا اللفظ الخاص بمصر وشعبها لدلالة قوية على العلاقات القديمة التي كانت قائمة بين مصر واليونان ، فالتاريخ يحدثنا ، والآثار تؤيده ، على ان العلاقات اليونانية المصرية بدأت في أوائل الدولة الحديثة أي في عصر الوحدة الثالثة (١٥٨٠ — ١٠٨٥) ق . م . وذلك ان بعض الفراعنة استعان بالجنود اليونانيين المرتزقين في بعض حروبهم .

وأخذت هذه الصلة تنمو تدريجيًا حتى إننا نجدها تجارية في العصر الذي سبق حكم الفرس لمصر . وبعد دخول قمبيز عاهل الفرس البلاد نزح كثير من التجار اليونانيين وتبعهم عدد عظيم من علماء اليونان ومفكريهم الذين عنوا بدراسة تاريخ مصر وآثارها ودينها وأخلاق أهلها ، نذكر منهم هيرودوت المؤرخ وأفلاطون الفيلسوف وهوميروس الشاعر وارفيوس الموسيقي وغيرهم . وهكذا أصبحت مصر كعبة القصاد من بلاد اليونان المختلفة من تجار وعلماء وجنود حتى ان (بسماتيك الاول) مؤسس الاسرة السادسة والعشرين وأول ملك من ملوك عصر الوحدة الرابعة منح الجالية اليونانية جزاء المساعدة التي قدمها له جنود

اليونان بعض الاجزاء من البـلاد لتكون خاصة بهم وبأسراتهم من بعدهم، كالحيّ الخاص باليونانيين في بلدة منف وفي بلدة دفنة . ثم في عصر الملك أحمس الثاني خصصت لهم مدينة (نوقراتيس) وموقعها الحالي بالقرب من صفط الملوك .

لذلك لا نعجب أن نرى بعد ذلك شعب مصر يرحب بقـدوم الاسكندر ويرسم كهنة آمون له ابناً لـكبير آلهتهم آمون ومنحه سائر الألقاب الفرعونية الخمسة . توفى الاسكندر وورثه البطالمة فأخذت الصلة بين مصر واليونان تقوى حتى صارت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية الى جانب القبطية .

وقـد بقيت كذلك حتى دخول العرب مصر وتعدّت العـلاقات الثقافية الى السياسة إذ أصبحت مصر تحت حكم اليونان مدة طويلة (٣٣٢ ق . م . الى ٣٠ ق . م .) . وكانت هذه المدة الطويلة كافية لتوثيق العـلاقات بين الشعبين المصري واليوناني ، وكافية أيضاً لأن يلمس المصريون الفرق بين الـكتابتين اليونانية والمصرية القديمة متمثلة في الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، فبينما الـكتابة اليونانية ، وان كانت من أصل مصري ، تتطور وتصبح أكثر ملاءمة للحياة في ذلك الوقت، إذ بالمصرية تبقى محافظة على صورها وأشكالها القديمة المختلفة . لذلك شعر المصريون بالحاجة القصوى الى وجوب العدول عن الـكتـابة المصرية القديمة الى الأبجدية اليونانية التي كان المصريون قد أخـذوا في استعمالها بخاصة في كتابة أسماء الأعلام . ثم قاد هذه الحركة فيما بعد العالم الاسكندري (بونثينوس) وتلاميذه المصريون حوالي أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للميلاد. فقد نقحوا الاملاء القبطي وكتبوا اللغة في الأبجدية اليونانية البالغ عدد حروفها أربعة وعشرين ، وأضافوا اليها سبعة حروف وهي (شاي وفاي وخاي وهوري وجنجا وكشيماوتي) أخذت من الديموطيقية لعدم وجود أصواتها في اليونانية . ثم أضافوا حرفاً آخر وهو (صو) الذي يستعمل للدلالة على العدد « ٦ » كما هو الحال في اليونانية . ومن حسن الحظ أن حفظ لنا التاريخ بعض الـكتابات القبطية القديمة التي ترجع الى العهد الذي لم يكن قد اعترف فيه بعد بالمسيحية ديناً رسميّـاً للدولة بالرغم من دخول المسيحية البلاد أيام حكم نيرون على يد القديس مرقس عام ٥٤ م .

ومن أشهر هذه الكتابات البردية التي طبعها العلامة (جريفث) (١) والنص المحفوظ بمتحف اللوفر ونشره (ارمان) (٢) فهذان النصان يعالجان أموراً تتصل بالسحر والفلك لا علاقة لها بالمسيحية بتاتاً . ففي البردية الاولى نجد ذكراً لنجم السعد ، وآخر لنجم النحس ، كما يوجد في النصين دعاء الى اوزيريس إلـه الموتى ، وانوبيس إلـه الجبانة وزع وايزيس . وغير هذه الكتابات عثر في اخميم على بطاقات المومياء يرجع تاريخها الى القرن الثاني الميلادي وبعضها مؤرخ بالعام الرابع من حكم الامبراطور هدريان وقد نشرها (شتيندورف) (٣) .
وكلما تقدم بنا العهد نجد المسيحية تتثبت في مصر فتنهزم أمامها الوثنية ويضطر الامبراطور قسطنطين الى الاعتراف بها ديناً رسمياً له وللدولة حوالي عام ٣٢٥ م . وحوّل خلفه بعض المعابد المصرية القديمة الى كنائس ، كما أغلق الباقي منها . ثم جاء الامبراطور (جوستنيان) فأرسل قائده (نرسيس) الى جزيرة الفيلة حيث قضى على البقية الباقية من عبادة ايزيس وأوزوريس . وهكذا نرى المسيحية تعزز بعد أن قدمت من ابنائها الشهداء الكثيرين أيام حكم (دوقلسيان) حوالي عام ٢٨٤ م . فأصبحت مصر بعد ذلك معقلاً للمسيحية ووطناً للديورة والرهبنة ، واستطاع الأقباط أن يخلقوا فنّاً قبطيّاً متأثراً باليوناني حيناً وبالفرعوني حيناً آخر .

* * *

أما اللغة القبطية وآدابها فقد استمرّت حيّة حتى القرن العاشر الميلادي بدليل أننا نجد الاسقف ساويرس بن المقفع يقول ما معناه إنّ القلم العربي عرف عند أهل الديار المصرية كما اننا نعرف من جهة أخرى أنّ كثيراً من العرب عرفوا اللغة القبطية حتى نجد في أوائل الحكم العربي لغة الدواوين القبطية أو اليونانية . وظلّت اللغة القبطية اللغة الرسمية لمصر حتى

---

(١) F. L. L. Griffith, The old Coptic Horoscope of the Stobar Collection, Aeg. Z. 38, pp. 71—85

(٢) A. Erman, Die aeg. Beschwoerungen des grossen Pariser Zauberpapyrus, Aeg. Z 1883, p. 89

(٣) Steindorff, Aeg. Z. 1890. p. 49 : Die Mumien Etiketten

عهد عبد الله أخ الوليد بن عبد الملك بن مروان . الذي أحلّ العربيـة محلها سنة ٧١٤ م . ولما كانت سنة ٩٩٧ م قام الحاكم بأمر الله بن عبد العزيز أحد ملوك الفاطميين وأمر بإبطالها لغة حية . واللغـة القبطية كغيرها من اللغات تنقسم الى لهجات . وقد ظهر ذلك جليًّا عند استخدام الأبجدية اليونانيـة لاستخدام الحروف الصائتـة الى جانب الصامتة (المتحركة والساكنة) بخلاف الجاري في اللغات السامية التي تكتفي بالحروف الصامتة فقط . ونحن نستطيع أن نفرق بين خمس لهجات في القبطية ولا نستطيع أن نجزم بوجود أكثر من لهجتين في العصر الفرعوني . وأشهر اللهجات القبطية هي :

أولاً — البحيرية التي كانت أصلاً لهجة الاسكندرية عاصمة مصر الرسمية ، أيام اليونان والرومان ، وما جاورها في الوجه البحري . ومما زاد في انتشار هذه اللهجة انتقال بطاركة الاسكندرية الى (بابلون) أي الفسطاط أو مصر القديمة ، ثم الى القاهرة واستخدامهم اللهجة البحرية كلغة رسمية للـكنيسة . وما تزال هذه اللهجة مستعملة الى اليوم فقط في العبادات في الـكنائس الارثوذكسية وبين قليل من الأمر ، ويلاحظ أنهـا أكثر اللهجات تأثراً بالمفردات اليونانية لقربها من مواطن الثقافة اليونانية .

وانما لا ننكر ان هناك بعض كلمات دخيلة يونانية في اللغة القبطية ولـكن هذه الظاهرة ظاهرة دخول كلمات أجنبية في اللغة المصرية القديمة نجدها في عصر وحدة مصر الثالثة . فبعد غزوة الهيكسوس لمصر دخلت كلمات كنعانية كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهذا لم يخرج اللغة عن صفتها المصرية .

ثانياً — اللهجة الصعيدية وهي لغة أهل طيبة (الأقصر) ومعظم سكان الصعيد الأعلى

ثالثاً — اللهجة الأخميمية وهي خاصـة بأهل اخميم وأقرب اللهجات الى المصرية القديمة وأبعدها تأثراً بمفردات اللغة اليونانية . وذلك لبعدها عن الأوساط الأجنبية .

رابعاً — اللهجة الفيومية وهي لغة سكان الفيوم وما جاورها من البلدان .

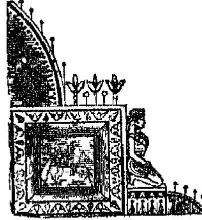
***

هذه نظرة عاجلة عرضت فيها للغة القبطية نشأتها وتطورها كما بينت أن لفظ «قبطي» هو اسم يطلق على أبناء مصر مسيحييها ومسلميها .

ونذكر هنا حقيقة يجهلها بعض العلماء إذ يظنون أن آداب اللغة القبطية دينية محضة . والواقع غير ذلك ، فهي الى جانب ما حفلت به هذه الآداب من سِيَر القديسين والبطاركة والأناجيل لم تقف عند الجانب الديني فحسب بل تناولت الجانب الدنيوي .

فهناك نصوص تتعلق بالتاريخ وبالقانون كعقود البيع أو الميراث وبالرسائل والصكوك وما يختص منها بالضرائب أو التجارة ، كما ان هناك نصوصاً دنيوية أخرى تتصل بالفلك والسحر والطب [١]

وهنا أرى أن من الصواب تسمية اللغة القبطية باللغة المصرية القديمة في آخر مرحلة من مراحل تطوّرها وإن كانت مكتوبة بالخط القبطي الذي هو مزيج من الأبجدية اليونانية والديموتيكية ، فأمامنا مثلٌ في العصر الحديث هو أن اللغة التركية في حالتها الأولى وهي كتابتها بالحروف العربية ، والثانية وهي كتابتها بالحروف اللاتينية لم يمنع ذلك من إطلاق اسم التركية عليها .



(١) نجد أيضاً أصول اللغة القبطية متشعبة من العصر الفرعوني فئات من المفردات القبطية التي يستعملها المصري في التعبير عن حاجة الفرد في حياته اليومية من مأكل وملبس ومشرب وما الى ذلك من مرافق الحياة في الزراعة وغيرها ترجع أصولها الى اللغة الفرعونية المصرية ، كما ان أصول نحو اللغة القبطية كأدوات التذكير والتأنيث والضمائر ترجع الى نحو وأجرومية اللغة المصرية الفرعونية

الفهرست

صفحة

أهم المراجع العربية

اسماعيل مظهر — بداءة عصر البطالمة — ١٩٣٨
اقلاديوس بك لبيب — قاموس اللغة القبطية
« « — مجلة عين شمس
سليم بك حسن — مصر القديمة ١٩٤٠
« « — الأدب المصري القديم ١٩٤٥
زكي علي — الاسكندرية (مجلة كليـة الآداب بجامعـة فاروق الأول سنة ١٩٤٥ صحيفة ١١٨ وما بعدها)
الدكتور حسن كمال — كتاب تاريخ مصر (ترجمة لكتاب جيمس هنري برستد)
محمود بك حمزه — دليل المتحف المصري — ١٩٣٥
مريت بك غالي — دليل معرض الآثار القبطية ١٩٤٤
مرقص باشا سميكه — دليل المتحف القبطي
الدكتور محمد عبد المنعم بدر — القانون الروماني سنة ١٩٤٧
عبد القادر باشا حمزه — على هامش التاريخ المصري القديم سنة ١٩٤٠
عبد العزيز عبد الرحمن — تاريخ الطب والصيدلة — ١٩٣٩
دكتور نصحي ابراهيم — تاريخ مصر في عصر البطالمة ١٩٤٦

أهم المراجع الاجنبية

Agyptisches Wörterbuch

Agyptische Inschriften aus den königlichen Museen zu Berlin

A. Z. — Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskundhe, herausgegbene von G. Steindorff und W. Wolf, bis 1939

Annales du Service des Antiquités de l'Egypte

Anthes, R., Ein bisher unbekanntes Exemplar der Dienstordnung des Wesieres in Mélanges Maspro I S. 155

Breasted, J. H. A History of Egypt., New York 1908 (Ubersetzt von H. **Ranke** " Geschichte Agybtens, 1937)

Ancient Records of Egypt, 5 Bde. Chicago 1927 (abgekürzt) Anc. **Rec.**

Bonnet, H., Die Waffen des alten Orients, Leipzig 1926.
Drioton, Et. et., J. Vandier, Les Peuples de l'Orient Méditerranéen
Griffith, The Abydos Deciee of Seti I at Nauri
Gauthier, Les Nomes d'Egypfe, Nem. Inst. 25
Hanotaux, Hist. de la Nation Egyptienne
Kuentz, Ch. La Bataille de Qadech
Legrain, G. Au Pylone d'Aimhabi à Karnak Recheiches Geneologyques, in Rec. 31,201
Lepsius, R. Denkmäler aus Ag. u. Aethiopien (abgek. L. D.)
Lefebvie, G. Inscriptions concernant les Grande Pretres D'Amon Rome-roy et Amenhotep
Histoire des Grands Pretre, d'Amon de Karnak
Linke, A. Correspondenzen aus der Zeit d. Ramessiden.
Mariette, A., Monnmente Divers
Maspero, Histoire
Moret Histoire de l'Egypte Pharaonique
الجزء الثاني من مجموعة Hanotaux التي طبعت تحت رعاية المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول
Meyer, Ed. Geschichte
Müller, Max, Der Bündnisver rag Ramses II
Newberry, The Life of Rekhmara
Naville u. Hall, The XI. Dyn. Temple at Deir-et-Bahary
Otto, W., Priester und Templ in Hellenistischen Agypten
Baton, D., Early Egyptian Recoid of Iravel
Scharff, A., (1) Ein Denkstein des Vezirs Rahotep
(2) Haiemhabi, in Brunton, Great ones
(3) Ein Rechnungsbuch d. königl. Hofes
(4) Handbuch der Archälogie
(5) Agyptologische Forsehungen
Seidl, E., Rechtsgeschichte, übersetzungen und Abhandlungen zum vorptolemäischen Rechte Agyptens in Kritische Virttlihahresschrift fur Gesetzgebung und Rechtswiss.
Sethe, K., Der angebliche Beiicht im Haremhabs Verheiratung in seiner Thronbesteigungsinschrift, in Ae. Z. 44 S. 35
Die angebliche Rebellion des Hohenpriesters Amenhotp unter Ramse IX.
Untersuchnngen z. Geschichte u. Altertumskunde Agyptens
Die Prinzenliste von Med net Habu
Sethos I. and die Erneuerung d. Hundssterr periode in Ae. Z 66 S. 1
Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis
Urkunden der 18. Dynastie
Die Berufung eines Hohenpriestei des Amon untea Ramses II. i. A Z. 44, S. 30
Einsetzung des Vezirs
Zaki y. Saad, Royal Excavations at Saqqara and Helwan 1947



